لحظات أخري

هيثم أحمد

لحظات أخري
هيثم أحمد
تدقيق لغوي :سكون لخدمات الكتب
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع: 2019/2185
ترقيم دولي:5-71-6594-977-978



دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠٠٢٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
Www.FaslaPub.Com

الطبعه الأولي يناير ٢٠١٩
الطبعه الثالثه يناير ٢٠٢٠



لحظات أخري

هيثم أحمد





إهداء

إلى الحبيب الذى هجر والصديق الذى فارق، إلى سقطاتنا ونزواتها،
إلى العودة بعد إنكسار والندم بعد الخطيئة، إلى الدُنيا وما فيها.



أشعر بالغثيان هذا هو حالى صباح كل يوم...

غرفة أعلى سطح بناية بأطراف المدينة، مرحاض صغير يكفى لقضاء حاجته والاستحمام دون باب، اكتفى بوضع ستارة لتحجب الرؤية عن لا أحد، ربما استخدم هذا الساتر فى إحدى الشتويات عندما شعر بالبرودة فى لحظات استمتاعه بحمامٍ دافئ، كل ما كان يحتاجه مسمارين ولحاف قديم فصار هذا الساتر، قاعدة المرحاض أمام الستارة مباشرة، على اليمين دُشّ يعتلى حوض استحمام صغير يرتفع عن الأرض بضعة سنتيمترات لا تمنع المياه من الهروب، أمام الدش حوض معلق أسفل مرآة وحامل اصطف عليه بترتيبٍ لا يتغير فرشاةُ أسنانه ومعجونها ثم ماكينةُ حلاقة كهربائية، زجاجة عطر، أغراض كثيرة لم تُستخدم منذ فترة طويلة، تحتوى الغرفة على سرير قابع أسفل شباك على يساره الحائط وعلى يمينه منضدة تحمل أوراقا وأقلامًا ثم اللحاف المعلق، مرورًا بمكتبة صغيرة الحجم مُتخمة بكتبٍ تغطيها الأتربة، وقبل الباب لوحة معلقة لفتاة ملامحها ضبابية فوق رف اصطف عليه برواز فارغ وقلب أبيض اللون، آخر ما فى الغرفة كرسيان أحدهما مخصص للكتابة والآخر لم يُستخدم ولكنه اهتم بنظافته، خارج الغرفة وعلى اليسار غرفة أقل مساحة فتح لها منفذًا صغيرًا من الداخل، وضع فيها ثلاجة وموقد مُسطَّح

وحوض صغير، تلك هى مملكته الخاصة، استطاع هنا أن يهرب من كل الضغوط التى لاحقته طوال حياته.

الساعة الحادية عشر صباحًا موعد استيقاظه قبل مغادرة السرير يفتح زجاج نافذة الغرفة الوحيدة يوارب الشيش، يهرب منه خيط رفيع من أشعة الشمس التى بدورها تُنير ذرات أتربة صغيرة تدور فى عشوائية، يُشعل النار على إناء من الحليب ويضعه على أضعف درجات الشعلة ثم يتجه ليأخذ حمامًا يوميًا، شاى مغلى يُمزج جيدًا مع الحليب وثلاث ملاعق من السكر هو مشروبه الصباحى المقدس، يبدأ بعده فى وصلة كتابة لا تنتهى قبل أن يستيقظ فى صباح يوم آخر، هل شعرت بالملل من هذه الحياة؟ ربما! لكنه لا يشعر بمللٍ قط، زيَّن المساحة الواقعة أمام الغرفة باللون الأخضر بعد أن اكتشف هواية جديدة فى تربية النباتات المنزلية... اليوم كل شىء تغير.

اليوم اشتد على الغثيان، الحل السريع فى حمام دافئ رغم حرارة الجو، ولكن قبل أن أمُد يدى لأفتح زجاج النافذة سمعتُ طرقاتٍ رقيقة على الباب، بالتأكيد ليست للكائن «سعيد» فهو «حَلُّوف» بجسدٍ ضخم لا يَملُّ من الحديث عن الشهوات، يده أضخم من تلك الطرقات الرقيقة، لكنه رغم هذا يُغنينى عن المرور خارج حدود غرفتى، اللعنة على هذا الشعور، تتكرر الطرقات وأنا أحاول تجاهلها

حتى سمعتُ صوتًا أرقُّ من طرقات يديه:

-نادر... أ.نادر أنا عارفة إن حضرتك هنا.

هل هذا الصوت نتاج مخيلتى التى لم تكتفى بسرد خيالات على الأوراق؟ نفسٌ عميق.. لا يضر لن أفتح حتى تنتهى طقوسى الصباحية غير ذلك لن يُجدى أن ألتقى بأحد ولكن الصوت زاد إصرارًا:

-حضرتك موجود وصحيت الساعة ١١ بالضبط ممكن تفتح؟

أفرك فروة رأسى بيدى، كان لا بد من الاستجابة لتلك النداءات إما أن ترحل وأتأكد أنها أوهام أو تبقى وتكون حقيقة

-يا اللى على الباب استنى ربع ساعة وهفتح.

لتُجيب صاحبة الصوت العذب:-

-أنا هستناك، براحتك.

يتابع نادر طقوسه الصباحية وإن أستمر تحت الماء الدافئ لفترة أطول من المعتاد حتى خرج مسرعًا لينقذ الحليب من الفوران ويخسر كوبه فلم يتبقّ إلا القليل منه، ولم يأتِ سعيد حتى الآن ليمده باحتياجات، تم إنقاذ المشروب بنجاح، أخذ نفسًا عميقًا وهو يفكر « أنا أكيد كنت بتخيل» يتابع ذرات الأتربة الممتزجة بضوء الشمس

من الخلف وهو يحاول تذكر آخر فقرة توقف عندها يوم أمس حتى قاطعه الصوت مرةً أخرى: -أستاذ نادر؟!

على أن أفتح، فهذا الصوت ليس نتاج مخيلتى، رهبةٌ تتسلل داخلى وأنا أفتح الباب لأجد شخصًا غير «الحلوف» أنظر أمامى لامرأة عشرينية ترتدى قميصًا فضفاضًا وبنطالًا من القماش لا يختلف عن اتساع القميص وشعرٌ لم تصففه واكتفت «بالكعكة الشعبية» ورغم عدم اهتمامها بملابسها إلا أنها بيضاء جميلة بعينين غجريتين، وشفتين كنبتة عنب أحمر قُطفت حديثًا، وغمازتين ألجمتانى عن الرد.

-صباح الخير.

يفتح عينيه بصعوبة ولم يرد.

-.........

-أنا آسفة إنى جيت من غير ميعاد بس أنت وحشتنى.

نظر إليها بدهشة فهو لم يعد يتذكر أحد ممن التقى بهم فى سنواته الماضية، أخذ رشفةً من كوب الشاى بالحليب ليستجمع أفكاره ثم تثاءب بشكلٍ ملحوظ

-أنا.. وحشتكِ!!!!!!!

-جدًا.

-حضرتِك أنا ماعرفكيش!

كان لا بد أن أغلق الباب سريعًا حتى لو كان بيننا علاقة فأنا قررت الانعزال عن الماضى، لهذا أعطيتها ظهرى دون رد وكدت أن أغلق الباب إلا أنها وضعت يديها، فأغلقته عليها وصدر منها آهة مكتومة جعلتنى أتراجع عن قرارى.

-أنا آسف... إيديك كويسة؟

-آه... شوية... بسيطة.

لم ترفع عيناها عن نادر، ربما كانت تحاول أن ترسم ملامحه داخلها.

-طيب تمام.. أنا ماعرفكيش.

-حضرتك مؤلف رواية «حِلم».

دهشةٌ فى ملامح نادر وهو لا يزال يتثاءب.

-رواية إيه!

-«حلم»... الرواية اللى كتبتها عنى... أنا حفظاها.

نظر إلى صدق عيناها وهى تؤكد على تلك الرواية.

-أنا أعرفك من الرواية وأنت تعرفنى كويس، وحسيت إنك الوحيد

اللى ممكن...

أشار بأصبعه إليها لتتوقف.

-يبقى ماتعرفينيش... عشان مكتبتش رواية، وأنا عمرى ما شفتك قبل كده.

كان عليها أن تتمسك بالحوار إلى أبعد من هذا.

-يمكن أنت لسه مكتبتهاش بس هتكتبها... وأنا أعرفك جدًا... مفيش خيال يخرّج الكلام ده إلا لو كان موجوع... إلا لما يكون حاسس بكل تفصيلة... النهاردة عدت سنة كاملة من ساعة ما قرأتها... سنة وأنا مش عارفة أخرج براها... سنة وأنا مستنياك سنة وأنا سايبة الدنيا وبادور عليك.

أشاح نادر بيديه مرةً أخرى.

-أولًا أنا مش مهتم أعرف أحاسيسى كانت عاملة إزاى... ثانيًا أنا قررت إنى أكون وحيد من زمان.. فـ أرجوكى امشى ومتجيش تانى... وأنا مش بكتب، والله مش بكتب، أنا معنديش حاجة أكتبها.

-أنا هعتبر إنك مكتبتش حاجة بس أنا هفضل هنا لحد ماتسمحلى بمساحة أحكى فيها قصتى.

يكفى هذا الحوار الذى استهلك طاقةً أكثر مما أعتدتُ عليه، أغلقت الباب مرةً أخرى وأنا حذر كى لا يتكرر الخطأ، نظرت إلى الفراغ المحيط ثم إلى كمِّ الأوراق الملقى على الأرض، وسؤالٌ فى الأفق يتردد «هل أنا حقًا لدى القدرة على الكتابة؟!» لا أظن، رغم تلك الأوراق التى غطاها الحبر الأسود بمشاعر لا أعلم كيف وُلدت إلا أننى على يقين أن هذه الفتاة تهذى، لا لن أخرج من صومعتى، صوت هذا الشخص المزعج يخرجنى من لحظات التأمل.

–يا عم نادر، أنا جبت اللى أنت عايزه، افتح.

كلمات قليلة هى التى استخدمها فى الحديث معه.

–وطى صوتك يا حبيبى أنت إيه**!** حلوف؟

ثم أغلق الباب ورائى ولكنه قاطعنى:

–ماتقولِّيش يا حلوف... أنا هربان من أمى عشان كانت بتقولى يا مقطوع، هو أنا مش عارف إيه مقطوع دى، ومقطوع من إيه بس زهقتنى.

–مش هقولك يا حلوف تانى... حاضر بس ده لا يمنع إن ده شعورى ناحيتك.

–أنت ليك فى المُزز يا عمُّنا؟

-مزز إيه يا حلوف..؟ معلش... يا سعيد.

-فى واحدة قاعدة برة مستنياك بجيلها يومين.

هل مر يومان منذ حوارى مع تلك الفتاة!؟ مستحيل.. هل أصبحت تفاصيل حياتى مكررة بدقة حتى أننى فقدت الزمن! لا أعلم إن كان قد مر يومٌ أم لا، فأنا لا أعرف تاريخ الحوار الذى دار بيننا.

-هى قاعدة هنا بقالها يومين فعلًا!!؟

أشعل سيجارة وهو يهز جسده يمينًا ويسارًا وينظر إلى نادر المصدوم كليًا.

-باشوفها طالعة كل يوم الساعة ١٠:٣٠ كده وبتنزل الساعة ١٠ بليل... قول شفتها مرتين الصبح وزيهم بليل.

-كام يوم يعنى؟

-من إمتى بتحسب أيام؟

-هو أنت مش صغير ع السجاير دى؟

-مفيش هنا كبير وصغير... عيش يا أستاذنا.. ودى مش أى سيجارة، دى متكلفة.كان على أن أتأكد هل دار بيننا حوار حقًا؟ فتحتُ الباب بحذرٍ وأنا أنظر من طرفه، كانت تجلس على الأرض

مستندة على سور السطح المواجه لهوايتى الجديدة -مشتلى الصغير-، خلعت قميصها من حرارة الجو فكشفت عن ذراعيها وعن رقبة عنقاء عاجية واستدارة فى خصرٍ يُتوِّقه حزام لم أستطع تمييز لونه من انعكاس ضوء الشمس عليه، سارعت بارتداء قميصها فى اللحظة التى أدركت أننى أسرق من جسدها نظرات، أغلقتُ الباب مسرعًا لكنى تذكرت السؤال كم من الوقت مر على لقائنا الأول؟ فتحت الباب وأنا أتحلى بجرأةٍ زائفة واتجهت إليها ودون أن أُلقى عليها تحية من أى نوع سألتها:

-هو الحوار اللى دار بيننا كان من إمتى؟

بابتسامة كشفت عن أسنانٍ بيضاء:

-مكنتش متخيلة إنك هتسأل السؤال ده.

-ليه؟

-عشان أنت كتبت الآتى؟

وقفت ثم بدأت فى إلقاء جزء من الرواية:

«كنت فاكر إنها كل وقتى بس كل حاجة اتغيرت لما عرفت إن معاها ماكانش فيه وقت، يعنى مثلًا لو قعدت فى مكان إضاءته ثابتة وهى جنبى مش هيفرق عَدَّى معاها قد إيه أو إزاى، أنا خرجت

من بُعد الزمن فى اللحظة اللى شفتها ومن بعدها قدرت أسيطر أنا عليه، ماكانش لازم أستنى كام ساعة عشان أشوفها أو اسمعها عشان ماكانش فيه ساعة... ماكانش فيه غير هى، اللحظة اللى بتكون موجودة فيها ممكن تبقى عمر كامل»

ثم نظرت إلى نادر بعيونٍ مرتعشة.

-عشان كده مش مهم.

-بس اللى كتب الكلام ده كاتبه لواحدة بيحبها أكيد... مش ليكى أنتِ ومش أنا اللى كتبته.

نظرت إليه وهى تضع رأسه بين راحتيها.

-ما هو أنا البنت اللى أنت بتحبها.

-ماتزهقينيش، أنا لو كنت شفتك مرة مستحيل إنى أنساكى.

-مش أنت بُعد الوقت حاجة قدرت تتحكم فيها...؟ إفتكرنى بقى!

كان على أن أرد ولكن أُلجم لسانى مع التيار الذى سار داخلى من حرارة راحتها التى تسللت إلى أطراف أصابعى.

-ولا أنت بتكتب حاجات مش مؤمن بيها...؟ أنت هنا عشان الوقت مايتحكمش فيك... ممكن أحكيلك؟

وضعتُ كوب الشاى بالحليب على طرف السور.

-صح... أنتِ صح... مش مهم... وأنا مكتبتش ولا أعرفك... سلام.

-أنت صادق إنك ماكتبتش وأنا صادقة إنك كتبت، وأنا مستنياك عشان عايزة رد.

-رد فى إيه؟

-هتكتب عنى الرواية اللى أنت كتبتها...؟ يووووه... هتكتب عنى وخلاص؟

-مش متعود أكتب حاجة ماحستهاش.

-ومين قالك إنك مش هتحسها؟

أخذتُ الكوب الزجاجى ونظرت إليها وإلى الضباب الذى يخفى تفاصيل العالم من تحتى.

-معاكى فرصة واحدة بس... ولو محستش مش هكتب... بس عايز أقولك حاجة مهمة أنا منعت نفسى إنى أحس من ساعة ما جيت هنا.

-موافقة.

-نبدأ المرة اللى جاية.

كانت قد غفلت إغلاق أزرار قميصها فالتحفت به وهى تهرول من خلفه.

-مفيش مرة جاية دلوقتى.

-مش هتخافى؟

-من إيه!!!؟

-إنك هتكونى مع راجل عايش لوحده؟

اكتفت بابتسامة وهى تسبقنى إلى الغرفة ناظرةً إلى ما بداخلها بدهشة مكتسية بحيرة ولم تتردد وهى تسألنى:

-بس؟

-هو إيه اللى بس.

-ده اللى فى أوضتك بس!!؟

***

لم يتبقى من شعيرات رأسه إلا قليل اكتسى باللون الأبيض، ألهبت التجاعيد وجههِ، وشفتاه لم تعد قادرةً على مقاومة الرعشة حتى

قررت الصمت لم تعد أطرافه تعمل كما كانت ولم يتبقَ سوى عينان يُغمضهما ليعمل عقله بكامل طاقته وهو يفتح ذكريات عمره ذكرى وراء أخرى، اليومُ كان مختلفًا بعد أن وضعت حفيدته أمامه كوبًا من الينسون الدافئ، نظر إلى عينيها وشعرها المعصوب بضفيرةٍ، وشفتيها تتحرك بهدوء.

–الينسون يا جدو ...... يا جدو أنت سامعنى؟

لم تتلقى رد إلا ابتسامة وهو ينظر إلى جسد امرأة نائمةً أمامه، حرك رأسه ففهمت إنه يسمعها، لم تكد تترك خلوته معها إلا وأغمض عينيه وفتح أولى ذكرياته معها...

كانت تشبه تلك الحفيدة بتفاصيلها، هذا الوجه الذى يمتلئ بابتسامة لا تفارق الشعيرات التى تهرب من ضفيرتها التى تكسر حاجز الخوف فوق جبينها، كانت اللحظة الأولى وهى بين يديه، اختفت تجاعيدها وأزاح الستار الحائل بين يديه وشعرها وبدأ فى شحن ذكرياته نظرت إليه وقالت بعينيها:

–أنا هستناك ماتتأخرش.

شعر بسعادةٍ بالغة فهى لم تفتح عينيها قرابة الأسبوع تتحدث مع أناس لا يراهم، هو فقط يجلس مكإنه وينظر إليها، تضع يدها بوهن فوق يده المستندة على عصاه الخشبية.

-خلى بالك من الأولاد، خليهم فى حضنك.

لم يتمالك دموعه فتحت باب سنوات عمره معها.

-أنا مش عايز غيرك.

بابتسامة باكية.

-أوعدنى إنك تعافر عشان الأولاد، هم محتاجينك لسه.

-أعافر إيه..؟ ماخلاص عافرنا سوا...

لم يتمالك أنفاسه المتلاحقة ودموعه تنهمر وهى تغمض عينيها مرةً أخرى وهى بين يديه...

نظر الجد إلى الحفيدة وهى تفتح الباب ثم سألها: -هم الأولاد محتاجين حاجة؟

بدهشة ردت: -الأولاد مين يا جدو؟

اختفت الرعشة من على شفتيه.

-أولادنا.

وقفت دون رد لم تستوعب ماذا يريد وأكمل الجد بصوت واضح:

-الأولاد كويسين أنا عارف، وممكن ماتسبينيش تانى؟

رفعت الحفيدة كتفيها.

-تحب أقعد معاك يا جدو؟

تحركت شفتاهُ بثباتٍ مرةً أخرى.

-لا مش لازم، أنا جايلك....

استعاد الواقع للحظاتٍ وهى يرى حفيدته.

-هو أنتِ بنت مين؟

-أنا بنت عاصم يا جدو... ابنك البِكرى اللى تعبنى معاه... ابنك تعبنى.

ابتسم وابتسمت وهى وتخرج لتجلس على الأرض مستندةً إلى الحائط أمام باب غرفة جدتها.

***

وقفت تتلفَّت داخل الغرفة وهى تحاول استيعاب اللا شيء الموجود داخلها، ظلت تتساءل دون إصدار أى صوت «هل حقًا يكفيك هذا لتعيش؟ « نظرت إلى البرواز الفارغ وهذا القلب الذى شعرت معه برعشة داخلية وخوف غير مفهوم... حاولت أن تلمسه حين قاطعها صوته:

-ده مش بيتحرك من هنا.. مش لللمس.

-ليه؟

-أنتِ عندك فرصة ماتضيعيهاش بالأسئلة الكثير.

-ليه مش عايزنى أسأل؟

لم أعتد على هذا الكم من الأسئلة حين ضربتُ بقبضة يدى طاولة الكتابة.

-أنتِ هنا عشان تحكى مش تسألى... سؤال كمان واتفضلى بره.

تركت القميص من صدمتها من عصبيته فانفتح ليكشف من جديد عن تفاصيل فصلَّتها بلوزتها البيضاء.

-آسفة.. آسفة... آسفة.

شعرت بضيق بعد أن نهرتُها وبشهوةٍ فى جسدها، لا بد أن أرفضها الآن، لا بد أن أطردها الآن وليس بعد قليل لا يوجد شهوات هنا، لا مشاعر هنا، أنا وأنا فقط، عيناها الغجريتان تحكى تفاصيل لا أفهمها وفجأة سألتُها

-هو أنتِ تعرفينى فعلًا ولا أنتِ بتقولى أى كلام؟

-أنا قولتلك.. أعرفك من الرواية اللى أنت هتكتبها عنى... وممكن

ماتزعلش؟

تجاهلتُ طلبها فى عدم نهرها مرةً أخرى وكررت سؤالى.

-تانى.... أنتِ تعرفينى؟

-أنا...

-مش من الرواية... تعرفينى؟

-لو كنت أعرفك كنت أكيد هتعرف.

-أنا فقدت تفاصيل كثير من حياتى... أنا مش فاكر غير اليوم اللى جيت فيه هنا، واللى قبل كده قررت أنى أنساه، ومش عايز حتى أفتكر أنا كنت عايز أنساه ليه، أنا فصلت نفسى عن كل حاجة، والحاجة اللى متأكد منها إنى مش عايز أرجع تانى لأى حياة أنا كنت عايشها... مش عايز.

وضعت يدها على عنقها وحاولت أن تهدأ من حدة المشهد وهى تميل برأسها قليلًا ناحية نافذة الغرفة

-شيش على الشباك... قديم أوى الجو ده

أعرفء أنها تريد تغيير دفة الحوار، وطاوعتها

-بيدخل هوا، وبيمنع الشمس... وممكن نبدأ عشان مش عايز

أضيع وقتى؟

-ممكن قبل ما أبدأ أفكرك بحتة من الرواية بتاعتك...؟ يوووه هافكرك بكلام وخلاص.

«القصة كانت لواحد قرر يعانى فى صمت وبعيد عن عيون الناس، يمكن تكون شفته مرة وهو بيضحك بمرار وهو بيحاول يخفى تفاصيل حياته حتى عن نفسه، قصة واحد قررت الناس تحكم عليه من تصرف واحد عمله وتجاهلت كل التجارب اللى مر بيها وعدت عليه وداست على مشاعره، كان لازم أكون مؤمن وأنا بكتب قصته إن كل واحد مهما كان جواه غل، سواد أو حتى كره كان فى يوم إنسان عادى قلبه لسة على الفطرة، ومع تراكمات احتلت مكان الإنسانيات جواه، وفقد مشاعره، عمرنا ما اتولدنا بِنِكْرَه، الطفل أول ما بيتولد بيكون مصدر الحب وكثير بيفكرنا إزاى نحب، هى قصة واحد كان طيب مع ناس مش المفروض يكون طيب معاهم، هى قصة واحد لما فشل يحب الناس القاسية قرر يقسى على الناس اللى بيحبوه»

***

استيقظتُ فى تمام الحادية عشر صباحًا، نظرت حولى فلم أجدها.. اختفت، هل حقًا دار حوار بيننا يوم أمس؟ اللعنة على هذا الغموض الذى بدأ يحيط بحياتى، أغمض عينىّ قليلًا فتُداهمنى أحلام فى

يقظتى، روحى صارت فى خفة الفراشات تحيط بى راقصات من شتى بقاع الأرض إحداهن برازيلية، وأخرى فى بياض الحلم الأوروبى، وأخرى شرق أوسطية، شعرتُ للحظات بمتعة غائبة، أيقظت نفسى عنوة رفضًا لهذه المتعة، سعادة المتعة أولى درجات الضعف، عُد كما كنت، الآن كان قرارى حاسمًا لن ألتقى بهذه الغامضة مرةً أخرى لا بد أنها نتاجُ أوهام، سوف أعود إلى طقوسى اليومية وسأرفض لقاءها مرةً أخرى إن كانت واقعًا، وسأقتلعها من جذور مخيلتى إن كانت حلمًا، لم ألبث أن فتحت زجاج نافذتى وواربت شيشه إلا ونظرت إلى أوراق جانبى بخط يدى مدونٌ أعلاها عنوان «دُنيا» هل هذا اسمها الحقيقى!؟ كيف لى أن أتأكد؟ هل سألتُها؟ هل بقيت معى حتى غطَّيتُ فى نوم عميق؟ هى ليست خيالًا إذاٍ «دنيا» كتبت هى واقع.... وبدأت فى قراءة ما كتبته ولا أعلمه.

دُنيا

عدتُ هذا اليوم إلى منزلى وأنا أحمل فوق كاهلى هومًا أكبر من عمرى عشرات المرات، لا أعلم بماذا أشتكى ولمن! لا يوجد لأمى متسع من الآلام لكى أحكى لها تفاصيل حياتى، إن كنتَ لا تعلم فهل لى أن أخبرك القصة من البداية. نشأت على صوتِ بكاءٍ دائم مكتوم لأمى، عندما أتممت عامى العاشر كنت أراها تخرج من غرفتها ليلًا شبه عارية وهى تحدِّث أبى «هدخل الحمام أخد دش» ثم تُغلق الباب على

نفسها وتبكى، لم أفهم وقتها ماذا يحدث، أبى رجلٌ لم يبادلنى مشاعر حب تمنيتها طوال حياتى وإن كان رجل مهام، والدى يعمل بجدٍ، يعملُ كثيرًا ومع الوقت بدأتُ أفهم لماذا تبكى أمى ليلًا وحيدة - أو هكذا كُنت أظن وقتها- على الرغم من أن والدى يوفر لها حياةً إلى حدٍ ما كريمة، ورغم أننا نعيش فى زقاقٍ صغير فى بيتٍ شبه متهالك داخل إحدى المناطق الشعبية، إلا أننا لم نقترض من أحدٍ يومًا، لكن أمى كانت تحتاج إلى روح، لا يوجد أحد يُقرِضك روحًا، كانت تحتاج أن تشبع رغباتها كأنثى، أعلم أننى مخطئةٌ ولكنى كنت أحاول أن أختلس السمع من غرفتها، سمعتها يومًا تقول: ممكن النهاردة على مزاجى. ليصب والدى غضبه عليها، المزاج هنا مزاجى وبس، ثم أتوارى تحت المنضدة لتخرج أمى ونصفها السفلى شبه عارٍ وتتأكد أن باب غرفتى مغلق وتُهروِل إلى المرحاض ثم تبكى، لهذا قررتُ أن لا أحمِّلها ما لا طاقة لها به، مع الوقت أدركتُ إنه كان على أن أخبرها بكل شىء، دعنى أحكى لك عن هذا اليوم الذى كنت سأخبرك به قبل تلك المقدمة، يومًا ما وصلت إلى الفصل وأنا أشاهدُ نظرات فخرّ وزهوٍ من إحدى صديقاتى وهى تتمايل مع أخريات ويضحكن، بالمناسبة أنا لست من المحبوبين أو المشهورين داخل الفصل وإن لم أكن أيضًا من المنبوذين فقط كنت رقم لا أحد يهتم بوجودى أو غيابى إلا صديقة وحيدة كانت فى مثل منزلتى بين باقى الطالبات، ولكنها غائبة منذ عدة أسابيع بعد وعكةٍ صحية ألمَّت بها، عرفتُ

بعد فترة طويلة أنها تعرَّضت للضرب المبرِّح من والدها بعد أن رأى شابًا يحاول الحديث معها، ولكن والدها أصرَّ أنها كانت على علاقةٍ به، كنت وحيدةً طوال هذه الفترة وازدادت وحدتى فى هذا اليوم حين نظرت إلى إحدى الزميلات غير الفاضلات وهى تحدثنى.

-كده مفضلش غيرك... إيه أنتِ هتفضلى صغيرة كده كتير؟

صوتُ ضحكاتٍ مكتومة تخترق أذنى وأنا لا أعلم عن ماذا يدور هذا الحوار، اعتدت على تقبُّل ضحكاتهن، وأنا كلى إيمانٌ أننى أفضل من الجميع دون أسبابٍ واضحة لهذا الإيمان، فقط كنت دائمًا أخبر نفسى «أنتِ الأفضل «

-هى جاتلِك؟

نظرتُ إلى زميلتى:

-هى إيه اللى جاتلى؟

نظرت إحداهن إلى المتحدثة وهى تقدم كتفها قبل كلامها:

-مينفعش تقوليلها هى صغيرة...

وضعت حقيبتى وأنا أنظر بدهشة واستغراب كيف صرت محور حديثهم!

-هو فى إيه؟

-أصل احنا كلنا عندنا ... قصدى كلنا جاتلنا «البريود» هى مجتلكيش؟

قالتها وهى تضحك، لا أعلم سر سعادتهن بهذا الألم الشهرى الذى نفقد فيه كمية لا بأس بها من الدماء، تخور معها قوانا وتذبل مفاتننا، كانت اللحظة التى بدأتُ فيها اتباع حركاتهن، ونظراتهن، وحتى أكون صادقةً مع نفسى كانت اللحظة التى شعرت فيها أننى أنثى غير مكتملة على الرغم من أننى لا زلت طفلة، ومعها صرت أشعر بالانكسار مع كل دورة شهرية، على أيضًا أن أخبرك أنَّ والدتى غالبًا نسيَت أن تخبرنى أننا نصاب بتلك اللعنة الشهرية.

وضعتُ النظارة أعلى منضدة الكتابة وأنا أترك الأوراق جانبى وأضغط على مقلتى بالسبابة والإبهام وآخذ نفسًا عميقًا لعلى أدرك ما يدور حولى، بالتأكيد هى بشرية، سعيد رآها وأنا شعرت بدفء راحتيها على وجهى وكتبت بخط يدها غير أنها تحكى تفاصيل بشرية، لا بد أن أستعيد نشاطى، خلعتُ ملابسى وأنا فى طريقى للاستحمام ووقفت تحت المياه حتى بدأت أشعر ببرودتها، نظرت إلى ذقنى غير المهذب وشاربى الكَثِّ ورفضت تهذيبهم، كنت بملابسى الداخلية حين سمعت صوت نقر أصابعها فقررت أن أخرج هكذا لربما تشعر بهذيان عقلى فترحل دون رجعة.

ما إن فتحت الباب حتى نظرت إلى ضاحكةً وهى توارى وجهها:

-أدخل إلبس حاجة.. إيه المنظر الزفت ده...؟ شكلك يضَحَّك جدًا

نظرتُ إليها وأنا أضغط على شفتى السفلى بأسنانى غيظًا حين أكمَلَت:

-ماتحاولش يا نادر تمنعنى إنى آجى.. أنا ماصدقت لقيتك... أنا تايهة، تايهة ودلوقتى فى حالة سكون تام، محدش هيسمعنى غيرك

تركها نادر وتوارى لارتداء ملابسه، جلست دُنيا تُطالع كمّ الكتب المزدحم بالمكتبة الصغيرة، نظام دقيق فى ترتيبها، هنا الروايات وإن كانت قليلة نسبيًا مقارنة بأنواع الكتب الأخرى، حاولت أن تدقق فى تفاصيل الغرفة ربما تجد ما يعينها على فهم كيف يعيش نادر حياته فى هذه العزلة، تلفتت وهى تسمع صوته يدنن بكلامٍ غير مفهوم، لم تلتقط أذناها تفاصيل الكلمات ولكنه يبدو كشعر موزون، طال انتظارها له لا تعلم ماذا يفعل اتجهت إلى الكرسى جلست عليه وضمت قدميها إلى صدرها واحتضنتهم لتغفو قليلًا وهى تنظر إلى صورة الفتاة المعلقة صاحبة الملامح الضبابية.

من هذه التى اقتحمت حياتى عنوة ودون سبب وكيف لى أن أتركها؟ أنا هنا منذ وقت ولكنى مستمتع ربما أشعر بضيقٍ بين الحين والآخر من سببٍ لا أعلمه؛ ولكن كل شىء هنا مناسب إما للحياة أو لشعور الموت، الحقيقة أننى لم أعد أهتم بكونى حيًا أو فى عداد الموتى، أنا

الآن فى لحظة حرجة إما إن أطردها أو تخرجنى مما أنا فيه، لقد فعلها آدم وحواء يومًا، ولن اسمح بمعاودة الحدث مرةً أخرى ونُطرد سويًا، ما إن انتهيت من تهذيب لحيتى وأزحت الستارة، وجدتها تغطُّ فى نومٍ عميق فى ثبات أموات ولكن صدرها ظل يرتفع وينخفض حتى اطمأن قلبى أنها على قيد الحياة، لا أعلم ماذا حركنى وقتها هل شفقة أم أننى لا أريد أن أشاهد جسدها؟ فى كل الأحوال سترتها بغطاء خفيف شعرت بالأمان بعدها، تركتها واتجهت إلى ممارسة طقوسى اليومية وأنا أحاول أن أختلس النظر إليها لأطمئن أنها لم تستيقظ بعد، أشعر بالتناقض أريد أن أطردها من حياتى وأن تبقى هنا لتؤنث وحدتى التى أحبها، هل مسنى الجنون؟ كم الساعة الآن؟ الشمس اقتربت من الرحيل ولا زالت جالس أمامها.

-تعرف إن مش دى بس المشكلة!

نظرت إليها كانت قد أزاحت عنها الغطاء ووقفت جانبى، وأنا فى حالة من الهلع أصوات تتداخل فى تلك اللحظة فى رأسى أصوات صافراتٍ كثير حولى صوت يتردد داخلى «أنا معاك مش هسيبك والله مش هسيبك» أشعر بدفءٍ فى راحة يدى أتلفت سريعًا، أنفاسى تتلاحق بقوة، بدأت فى سماع نبضات قلبى، بدأت عيونى تصارع قطرات عرق من أعلى جبينى أغمضت عينى للحظة ولكنى فتحتها سريعًا وهى تضع يدها على قلبى وتسند رأسها على رأسى وتردد بهدوء:

–اهدى... اهدى مفيش حاجة احنا هنا مع بعض... أنا موجودة....

نظرت إليها وأنا أستعيد وعي أكثر مع مرور اللحظات حتى هدأت جميع أطرافى.

***

لا يعلم كم الساعة الآن ولكنها تبدو منتصف ليلة شديدة الظلمة اختفى فيها القمر عن عمد حتى لا يتابع المشهد، فى زاوية جلس يحتضن زوجته وهى بدورها تحتضن أطفالها الثلاثة، محاولات مستميتة منه أن يُصدّر إلى زوجته دفء علَّها تقوى أن تُصدَّره إلى أطفالهم، تهتز المشاعر مع أصوات أمواج متلاحقة، يحاول أن يبقى ثابتًا وهو يهتف بصوتٍ مرتفع:

– غطِّى ودان العيال ليجيلهم برد.

بصعوبةٍ ينظر ليطمئن عليهم على ضوء كشاف ضعيف، يشعر أن صغيرته تشعر بالبرد فيخلع شالًا كان يربطه على رقبته.

– خُدى الشال ده لفِّيه ع البت الصغيرة.

أصوات الأمواج تعلو ويعلو معها هتاف رجل لا تختلف ملامحه عن تلك الليلة.

- كله يمسك جامد فيه موج وهو شديد، الله يخربيتكم.

يضغط الزوج بشدة على معصم زوجته.

- امسكى فى العيال جامد وأنا ماسكك.

- طب الهوا... أنت مش لابس حاجة يا مرزوق يا خويا.

- لما نوصل إيطاليا هنجيب كل اللى احنا عايزينه وهانعيش زى الفل، البلد دى مش عايزة تسيبنا إلا بخلع الضرس، أنا رابط الأكل فى رجلى الدنيا تهدى وناكل.

ترتفع الأمواج بشدة، تضرب إحداها الكشاف الوحيد ليزداد الظلام عتمةً، لم يعد يرى شيئًا، ظل يردد:

- أنت هنا؟ سمعانى؟

- أيوه أنا ماسكة.

- العيال.

- أنا ماسكة أيديهم الثلاثة.

شعور بالرعب يتسلل إليه، يسمع صوت بكاء.

- مين بيعيط؟ ماحدش يعيط ماتخافوش أنا ماسككم كلكم.

يرتفع صوت البكاء.

- ماحدش يخاف.

صوته بات غير مسموعٍ من شدة الرياح، يرفع صوته أكثر:

- العيال كويسين؟

- أنا ماسكة إيد اتنين مش شايفة التالتة.

يصرخ باسم أطفاله الثلاثة يسمع صوت اثنين فقط:

- فين البت التالتة!!؟؟

صراخ الأم يهزم صوت الأمواج والرياح معًا:

- امسكى الاتنين كويس هنلاقيها.

تضرب مَوْجة الجانب الأيسر من المركب يميل معها بشدة وتُفلت زوجته من يديه، يعتدل بصعوبة.

- أنتِ فين؟

يزداد صراخها: - أنا ماسكة بت واحدة.

يلطم على وجه: - أنتِ فين؟ أنا مش شايفك...

يحاول جاهدًا الوصول إليها، أصوات صرخات ممزوجة بصوت الريح ولطمات موج متتالية، لا زال يصرخ وينادى على زوجته وأطفاله الثلاثة:

- أنتو فين؟ امسكوا كويس انتو فين؟ لما نوصل هانعيش كويس والله هنعيش كويس.

مَوْجة هى الأشد تضرب المركب ضربةً قاضية ليختفى بين أمواج ليلة معتمة، لا يعرف هل يصرخ أم يغلق فمه حتى لا تتمكن المياه منه، يصارع الموج بكل قوته، عقله يرفض الاستسلام يبحث عما تبقى من أسرته، يتخلى المركب عنه، أصبح وحيدًا فى وسط البحر لا يُرى، ولكنه ما زال يقاوم يأخذ نفسه تارةً، وتارةً يصرخ منادٍ عليهم، يضرب البحر بقوة لعله يشفى غليله منه، يمر الوقت لم يعد يقوى أن يهتف وأن ظل يردد بصوتٍ ضعيف:

- خلى بالِك من العيال الموج عالى أوعى حد يفلت بلاش حد يموت بلاش، ده أنا مسافر عشانك، ده أنا مسافر عشان البنات، امسكوا جامد، يا عيال، انتو فين؟

***

الوحدة من جديد، هذا الصمت الذى اعتدت عليه، لا أريد العودة مرةً أخرى لقد فقدتُ الأمل ولا يزال الرحيل صعب المنال، رفضت

أن أتذكر كل شىء، تتحرك أطرافى دون إرادتى، أصوات أنفاسٍ من حولى لا أعرف مصدرها وإن كانت مألوفة، ربما من كثرة ما سمعتها أصبحت أعرفها.. «هو كويس...؟ هو عامل ايه دلوقتى...؟ هو فى أكل فى الثلاجة... بس شوية أنا عايز أنام... من فضلكم أخرجوا برة»... « يا خلود أنتِ واقفة بتعملى إيه؟ حركى إيديه» الحل الوحيد دائمًا فى الكتابة، أين ذهبت دُنيا؟ الآن اختلط الواقع بالحلم، الآن أنا فى شكٍ هل هى حقًا إنسان أم أنها كتلك الكلمات التى تتردد؟ ودون مقدمات صوت من الخارج وأنا أغلق الشيش لأبدأ يومى.

-هو مين الناس اللى حواليك دول؟

قالتها وهى تفتح الباب دون أن تستأذن، نظرت إليها وأنا أزيح الغطاء.

-الناس موجودين... ناس بتيجى وتروح محدش ثابت.

-وأنت ثابت هنا ليه؟

-مش عارف... بطلى أسئلة.

-أنا آسفة.

أزاحت الغطاء عنى وأنا أوجِّه لها أمرًا مباشرًا.

-اغلى اللبن فى الكنكة واعملى شاى كشرى صبى نص الكوباية شاى

والنص التانى لبن مغلى وحطى تلات ملاعق سكر.

اتجهت دون أن تبدى أى اعتراض وأمتزج صوتى مع هدير المياه من أعلى الدُش.

-مش عارف أنا ثابت هنا ليه ومن أمتى... بس أنا مبسوط ومرتاح وناسى.

-فى حد يكون مرتاح إنه ناسى.

-أنا... أوعى تكونى فاكرة أن الذاكرة هى الأهم خالص، أهم من الذاكرة هو النسيان، لو مانسيتيش لحظات جرحك، لحظات الوجع، الغل، الندم، الحقد، اللحظات اللى بنفقد فيها إنسانيتنا كان زماننا كائنات عايشه عشان تموت بعض، النسيان بيعلم الناس تسامح.

خرج نادر مباشرة وهو يلف فوطة على وسطه ولا يكترث بنظراتها، أزاحت وجهها ووجهت له الحديث وهى تصب اللبن المغلى:

-طب أنا ليه مش عارفه أنسى.

-أنت اللى شكلك عايزة تفتكرى وده مختلف تماما.

وضعت دُنيا الكوب أمامه وفتحت الباب نظر إلى الفراغ الذى يخفى خلفه تفاصيل حياة من اعلى تلك البناية، تحاول أن تتذكر تفاصيل حياتها، هى حقا تريد أن تتذكر، هى لا تريد أن ترحل تلك الرغبة فى

الانتقام بداخلها، لم تعش حياة مترفة، لكن على الرغم من معاناتها كانت تعشق الرقص، كم تمنت أن ترفع صوت المذياع على أعلى درجاته وهى تقف أمام المرآة وتتمايل لنفسها، كم تمنت لو كانت تمتلك من الأساس مذياعا، عشقت دُنيا كونها أنثى، لكنها كرهت كل لحظة عاشتها كأنثى.

نظرت إلى الخلف وعادت إلى الغرفة.

–لا أنا مش عايزة أفتكر، أنت مش قلت فى روايتك.

يقاطعها بعنف: –أنا مكتبتش رواية... أنا مش بكتب لحد.

–طيب.. أنت هتكتب فى روايتك الاتى « لازم فى لحظة نحكى كل اللى جوانا، فى لحظة لازم نسيب مشاعرنا تعبر مهما كانت، لازم نسيب الناس تعرف انهم مش لوحدهم اللى بيعيشوا مآسى، كله على عينك يا تاجر، لازم نحكى عشان فى ناس شبهنا وعايشين أوجاعنا بس معندهمش الجرأة أنهم يتكلموا، فـاللى عنده القوة يتكلم.. يتكلم، مع أن اللى بيتكلم بيشيل هموم الكون، وبيشيل حمل إن الناس كلها حاطين فيه الأمل إنه يحل مشاكلهم»

ترك نادر الكوب من يده، هو يتذكر تلك الكلمات لكنه لا يعرف متى كتبها.

-أنا كتبت ده!؟

-آه.

-لا لسه مكتبتوش بس أنا حاسة، أنا الكلام ده عارفه.... هو أنتِ بجد.

***

أشعر بالغثيان، اليوم أزداد هذا الشعور، «أشنكل» الشيش خلفى ليدخل الضوء، التفت فلا أجدها، وعاء اللبن فارغ، الكوب فى مكإنه ونظيف، الأصوات تتردد مره أخرى داخلى...

«هو جاى أمتى... لا احنا كويسين... دعواتكم.... لا كله على الله.... مفيش ميعاد معين»

يخرج بالفوطة حول وسطه وشعره مبلل يجدها أمامه وكوب الشاى بلبن على المنضدة ونصفه فارغ... ينظر إليها بدهشة.

-ماينفعش تسيبنى وتمشى، أنا لسه محتاجاك، أنت مش ذنبك إن الضعف جزء من كونك أنسان، ولا ذنبى أن الفشل جزء من النجاح أوعى تكون فاكر أنى هسيبك زيهم.

-هو أنتى هنا من أمتى... أنا مش فاهم حاجة من اللى بتقوليها.

-نادر... ممكن أحكيلك.

-آه... أحكى أنا عايز أخلص منك... أنا مش فاهم حاجة.

-أنت عارف مشكلتك فين....

-مش عايز أعرف... أنا عايز أرجع للهدوء اللى كنت فيه.

يستيقظ مرة أخرى على طرقات الباب وصوت سعيد من الخارج:

-يا عم نادر أفتح... أنا سعيد.

يبدو على نادر الوهن الشديد... وهو يفتح الباب ثم يعود إلى السرير مرة أخرى.

-مالك يا عم نادر بس... بقالك شوية مش مظبط... أنت زهقت.

-أنا فى واحدة بتجيلى ومش عارف هى بجد ولا تهيؤات.

-لو قصدك على البنت اللى اسمها دُنيا... هى بجد بس زيها زى كل الناس اللى بتيجى هنا ناس مش بجد... مش ثابتة على موقفها..

-هو ايه اللى مش بجد وناس بجد..

- زينا كده.. أنا وأنت هربانين..

-هو أنت هربان من ايه يا سعيد... أنت عمرك ما حكيت..

-وأنت عمرك ما سألت؟

-أدينى باسأل..

-تحب أعملك شاى بلبن معايا..

-ماشى بس... أغلى اللبن جامد وحط عليه على طول معلقة شاى وتلات معالق سكر وسيبه يغلى.

-أنا نفسى حد يحبنى زى ما أنت ما بتحب الشاى باللبن.

يتجه سعيد إلى المطبخ الصغير ويكمل:

-أنا هربان من الاكتئاب.

-وهو ده حاجة بنهرب منها.

-لا الاكتئاب محدش بيعرف يهرب منه بس تقدر تقول أنى هربان من الست الحاجة أمى.

-الست الحاجة والدتك الله يكون فى عونها أساسا.. أنها خلفت عيل زيك.

-أنت ماتعرفنيش... أنا هربان من الست أمى اللى ياما تعبت وأنا مش عارف أعملها حاجة مش منها نفسها فاهم؟؟

-لا.

-ولا هتفهم عشان أنت متعرفنيش أو تعرف بس كنت مخبى على نفسك.

-طب عرفنى يا سيدى.

-أنا كنت إنسان عادى لحد ما فى يوم صحيت مش مبسوط... قعدت شوية أحاول أفهم أنا ليه كده وايه اللى حصل مفهمتش وقتها... بس مع الوقت عرفت أن كل حاجة حاولت أنساها جوايا ظهرت... كل مشاعر خبيتها قررت تسيطر على... كل ده حصل فى لحظة واحدة وأمى قررت وقتها أن الحل فى الجواز... وزى ما كل الأمهات بتعمل... بنت أختها اللى مربياها هى أحسن اختيار..

-أنت هربت عشان والدتك عايزة تجوزك بنت أختها... أنت مجنون يا سعيد..-لا أنا هربت عشان أمى ماكانتش فاهمة اللى أنا فيه... مش مستوعبة إنى تعبان ومش فاهمة يعنى ايه أى حاجة حلوة فى الدنيا مش عارف تشوفها، أمى مش فاهمة يعنى ايه إنك مش قادر تشوف الحلو لا ده كمان كنت بادور على الوحش عشان أشوفه، فاهمنى... أنا مكنتش بشوف أى حاجة حلوة حتى الناس اللى بيحبونى... أمى كانت مش عايزة تشوف الوجع اللى جوايا.. أمى كانت فاكرة أنها لما تعملى صينية بطاطس بالفراخ هقوم زى الفل واتجوز بنت أختها

اللى هى بالتبعية بنت خالتى المتربية... اللى هتخلينى هادى، أمى ماكانتش فاهمه يعنى ايه معندكش طاقة إنك تفتح عينك أو تشوف النور، مش مستوعبة إنى مش قادر أحاول أنى أقدر، أمى من كتر حبها فيا قتلتنى وهى كل يوم بتفتح الستارة عشان الضوء يدخل ينور الأوضة، أمى ماكانتش عارفة أن الضوء ده بيزود الوجع، أمى عشان تعبت قوى مكنتش عايزانى أتعب.

-جربت تقرب لربنا.

-قصدك ع الصلاة والاستغفار يعنى...

-يعنى..؟

-لو أنت مش بتخشع فى الحاجات دى... يبقى مش هيحصل حاجة كلام بيتقال وبيتردد... الفكرة إنك توصل لمرحلة الخشوع وتفصل فيها عن العالم وتسيب مشاعرك السلبية تخرج من جواك، تعرف تعمل كده

-سعيد أنا كنت فاكرك تافه.

-لا ما هو ده لا ينفى أنى تافه... أدى اللبن فار يا عم واحنا بنرغى فى أى كلام.

***

تنزع الفتاة السماعات من أذنها وتقف وهى تنفض ظهرها من الأتربة العالقة من الحائط والأرض، تفتح الباب على جدها وهو يجلس فى نفس الموضع منذ أن أتت جدتها إلى هنا، وقفت فى ركن الغرفة بهدوء واستمعت إلى الحوار.

-أنتِ بتروحى فين.

-ما أنا قاعدة معاك أهو يا حج... أقوم أعمل لك شاى.. أنت اتغديت؟

-يا حاجة شاى ايه بس... أنت بتقعدى تكلمى نفسك كثير ومستكترة تكلمينى شوية.

-لا أنا كويسة... أنا مش باكلم نفسى خالص.. دول ناس معايا الناس اللى بحبهم محدش سايبنى.

-وهو أنا مش بحبك؟

-أنا مستغناش عنك... أنت لابس حزام الضهر ولا بتقلعه... الدكتور قالك بلاش تقلعه طول ما أنت صاحى

-لابسه... ومش هقلعه عشان ماتزعلش بس شدى حيلك أنت بس.

-حاضر.

-يا حاجة... أنت نمتِ تانى... يا حاجة ماتسبنيش.

استند بذقنه على عصاه وعيناه تملؤها الدموع، احتضنته حفيدته من خلفه وهى تقول: -هانزل أجبلك واحد شاى وهاوصى يعملوه زى ما تيته كانت بتعمله.

-الشاى بيتعمل يا بنتى عادى بس نفسها مش فيه... مش هيظبط دماغى.

-جدو هى تيته بتكلم مين؟

-بتكلم ناس محتاجينها..

***

بدأ فى الاعتياد على اختفائها وظهورها دون مقدمات، لم يسأل عاد إلى حياته الطبيعية، هدأت الأصوات التى تمر على رأسه، نظر إلى البرواز الفارغ والقلب المصمت، وبعد لحظات من الهدوء عاد إلى طبيعته، لا يمتلك مشاعر الآن لتسيطر عليه، هو فقط من يعيش، تفتح دنيا الباب دون أن تستأذن.

-هو مش المفروض تخبطى مش يمكن أنا فى وضع مش لطيف.

-أنت يا إما نايم يا فى الحمام يا بتحلم بالكتابة... أو بتعمل شاى

بلبن.

-أنا مبسوط بالحاجات دى.

-وأنا مش بعاتبك عليهم.

-أنتِ مالكيش إنك تعاتبينى.

-أنا جيت عشان أحكيلك.

-براحتك.

-بس ممكن توعدنى بوعد.

-برده مالكيش حق فى ده.. أنا ماطلبتش إنك تحكيلى.

-مش هتخسر حاجة.

-قولى..

-أوعدنى إنك ماتحبنيش.

يضحك نادر بصوت مرتفع.

-لا ماتخافيش أنا معنديش مشاعر.

-لا أنت عندك.. بس يمكن شايلهم.

-مش فارقة، فى كل الأحوال أنا مش بحب.

-أوعدنى.

-أوعدك... وهو الوعد بفلوس.

-لا.. بس لو حبتنى ممكن تعمل حاجة أنا مش عايزاك تعملها.

-هى ايه؟

-لما تكتب «حلم الاول».

-رجعنا للتخاريف تانى؟

-امسك ورقة وقلم واكتب.

-أنا أخر حاجة كتبتها موضوع ال... الـ ...

-ماتتكسفش... قصدك على الوجع الشهرى..

-كملى.

جلس نادر فى وضعية الكتابة.

دُنيا

أنا زى ما قلتلك بنت منطقة شعبية، أنا مش بنت ناس مستواهم الاجتماعى أو المادى عالى، بس كانت نفسى عزيزة، كان عندى أحلام كثيرة، حلمت أنى أطلع ممثلة وحلمت أنى أكون مذيعة، حلمت بأنى هتجوز واحد شكله حلو وعنده دقن، طول بعرض ومعاه فلوس، هيجى يخطفنى بعربيته السوداء الواسعة بس دايما كنت أسأل نفسى هى العربية الكبيرة السوداء دى ينفع تدخل الشارع بتاعنا، كل أحلامى تقع على الأرض واصحى وأنا واقفة قدام المراية شايفة جسمى بيكبر وبارقص قدامها على شوية أغانى حفظاها عشان ماكانش عندى كاسيت، كنت ملكة أنا اللى نصبتها، كنت بافرح بكل حتة بتكبر فيا، وعشان ماتقولش عليا إنى بت شمال، كنت بحبها لنفسى، أنت غالبًا مش هتفهم قصدى ما هو أنت عمرك ما كنت بنت ولا هتبقى، مش هتفهم يعنى ايه بتشوف جسمك اللى هو المفروض ملكك بيبان، خلينا نعدى الحتة دى وأكملك، أمى اللى كانت بتتوجع كل يوم كان عندها نصيحة واحدة بس لما شافتنى باكبر، كانت دايما تقولى حافظى على نفسك عشان لما تتجوزى، تعرف أنا كنت بسأل نفسى كل يوم لا كل يوم ايه كل ساعة وأنا واقفة

قدام المرايا، هو أنت مش جسمى أنا أزاى أحافظ عليه لحد لسه ماعرفوش، أنا عايزة واحد أوهب له جسمى، أنت فاهم دماغى، دى حاجة ملكك لازم توهبها مش حد يخطفها.

توقف نادر على الكتابة ونظر إليها.

-هو مفيش غير جسمك والبريود وعلاقة والدتك بوالدك..

-فى كثير، بس محدش سمح لى أنى أفكر فى الحاجات التانية دى، حاجات البنى أدمين، ماكانش عندى هواية، أنا كنت عايزة أبقى بس أنسانة ماتتوجعش، الهواية دى مثلا كانت طموح كبير قوى بعد اللى حصل لى، وهحكيلك الموقف التانى اللى تقريبًا دمر نفسيتى تماما.

الساعة تشير إلى الثالثة عصرًا، الطالبات بدأن فى الرحيل المدرسة شبه فارغة إلا من القليل، كانت دُنيا تنهى بعض الفروض المتبقية قبل عودتها إلى المنزل فاليوم هو حنة بنت عمتها الكبرى ومن الواجب أن تكون جانبها، من طرف الباب كان يقف شابا حديث الالتحاق بالمدرسة، مدرس شاب وسيم تستمتع بعض الفتيات بمصاحبته، ولا يمانعن فى تجاوز العلاقة قليلا، فتح الباب ووجدها جالسة، نظرت إليه « أنا باخلص بس حاجة يا أستاذ وهامشى» نظر إلى فتحة قميصها، وعلى الاستدارة المرسومة عليه « لا براحتك خالص» وقف خلفها ثم مد يده بهدوء على كتفها وقفت مفزوعة

لكن كان معصميه يطوقا خصرها من الخلف ويجذبها بقوة، يحاول أن ينال من كل محارمها، رفعت صوتها بأعلى ما تستطع، قاومت بشدة أخرجت كل قوة من جسدها حتى استطاعت أن تفلت فى اللحظة التى فتحت الباب فتاة أخرى أخذت دُنيا فى حضنها وهى تنظر إليه « أنت وساختك دى مش هتخلص»

نظر نادر إلى كوب الشاى الفارغ ثم نظر إلى دُنيا.

-هو الموضوع ده كان معروف فى المدرسة؟

-الموضوع ده حصل معاه مرتين بس محدش من البنات قدر يتكلم، بس أنا بقى كنت الشملولة، واخدت بعضى ورحت لأمى وحكيت لها كل اللى حصل.

-برافو... برافو...

-لا برافو ايه... أمى قالتلى حسك عينك حد يعرف، لو أبوكى عرف هيدفنك حية.. أبويا هيدفنى عشان واحد مش نضيف كان عايز يوسخنى، وسكت وكتمت فى قلبى ومبقتش أقعد فى المدرسة لوحدى، تخيل كده لما المدرسة بتاعتك ماتكونش أمان لك.

-وبعدين؟

-قعدت فترة مش قليلة وأنا بحاول أنسى والأيام بتعدى وزى ما

ستى كانت بتقول الحزن بينزل من جبل وبيخرج من خرم أبرة بس بيخرج، أنت متابع.

-أنا متابع، يعنى والدتك كانت مش مهتمة بيكِ وكانت مش مبسوطة مع والدك... نلخص الموضوع ونقول والدتك كانت سبب مشاكلك..

-لا مش هى السبب، أمى غلبانة قوى بس كان ممكن بكلمتين تساعدنى كثير، أمى جنبى دلوقتى وأنا عارفة إنها بتلوم نفسها، بس اللى زينا مالوش صوت، بيخنق الهم جواه بيكون عايش لسبب ما هو مش قادر يستوعبه، اللى زينا بيكون الموت أريح له.

-وأنت ارتاحتى..

-أنا لسه ماموتش...

خرجت دُنيا من الغرفة ووقفت أمام شتلات الزرع الصغيرة حاولت أن تشم لها رائحة لكن دون جدوى.

-هو الزرع ده مالوش ريحة؟

-لا... أنا اخترته كده، مش عايز أحس بأى حاجة أنا بس شكلها بيكفى معايا.

-الشكل مش كل حاجة.

-لا هنا الشكل هو كل حاجة، هنا احنا بنبان على اللى جوانا.

-هو أنت ممكن تحكى لى حاجة عنك؟

-لا مش ممكن.

-ليه مش أنا بحكى لك أسرارى؟

-أنتِ جاية بإرادتك، أنا ماطلبتش ده.

-طب قولى سر واحد من أسرارك، ما هو مش معقول أحكى لك كل حاجة عني وتعرف كل أسرارى وأنا لا.

-حتى لو عايز أحكى أنا مش فاكر حاجة.

-أنت عامل زيي، أنا مش عايزة أنسى وأنت مش عايز تفتكر، هو البرواز ده فاضى ليه؟

-هو شكله كده حلو، الصور مش بتحل.

-من غير ما تكمل الصور بتفكرك وأنت مش عايز تفتكر، هى أمك قصدى والدتك فين، عايشة؟

-أمى جنبى على طول وهى أكثر واحدة وحشانى.

-يعنى فاكر أهه؟

-ما قدرش أنساها، دى شالت كثير.

-احكى احكى احنا مش ورانا حاجة؟

-لا.

-ده أنت عِنَدى بشكل.

-مش عند، بس مش عايز أتعب أنا اللى متأكد منه انى هنا بسبب بس مش عايز أعرفه، أنا حاسس أنى ممل من كتر ما قولت مش عايز أفتكر دى.

-لا ممل ولا حاجة احنا مع بعض ومش عارفة الوقت، تشرب شاى بلبن أنت بقالك يجى شوية صغيرين ماشربتش.

-نعم؟

-لا ولا حاجة، بس كنت فاكراك مفطوم.

تنظر دُنيا إلى صوت من الخلف.

-أنت رحت فين يا سعيد؟

-يا عم نادر قلت أرجع لأمى شوية ماقدرتش.

-ايه اللى حصل؟

-أحكيلك بس ماتضحكش.

جلست دُنيا على الأرض وجذب نادر كرسيا وبدأ سعيد يحكى أخر لقاء له مع والدته.

***

تفتح والدة سعيد باب الغرفة ثم نافذتها.

-اصحى يا سعيد.

-ماما سيبينى أنام شوية.. أقفلى النور.

-يا ابنى قوم الساعة ٩ الصبح النهاردة الجمعة، قوم صلى.

-مانا عارف إنه الجمعة يعنى إجازة عايز أنام.

-مالك يا واد مش عايز تقوم ليه؟

-تعبان شوية.

-هعملك كوباية ينسون بالليمون وهتخليك قرد.

-لا يا ماما أنا مش تعبان جسديا..

-جسمك مش وجعك يبقى برد فى العضم... قوم خد دش دافى وأنا هادهنلك أبو فاس.

-أبو فاس ايه يا حاجة العضم من الجسد وأنا جسدى تمام أنا تعبان نفسيا..

-جسد!! ايه الكلام الكبير ده الله يخرب بيت الفيس زفت اللى خرب دماغكم... لو مش جسمك يبقى هاجيبلك قرصين ريفو والصداع هيروح... الريفو ده سحر..

-أنا مش مصدع يا ست الكل... أنا حضرتك يعنى نفسيتى مش متظبطة.

-أنت بقيت شاذ يا منيل.... نهار أبوك أسود نفسية ايه.

-شاذ ايه يا امه.... أنا بس مكتئب شوية.

-يبقى تتجوز عشان تثبت لى إنك مش شاذ؟

-مكتئب يا ست الستات والجواز من مسببات الاكتئاب.

-طب انزل اتمشى وهات الفطار الاكتئاب هيفك... اسمع كلام أمك.

-هو أنا عندى شد فى عضلات رجلى عشان تفك.

-شفت مش قلتلك برد فى العضم قوم خد دش وهادهنلك أبو فا....

-ماما الاكتئاب بيوصل للانتحار وأنتِ بتضغطى عليا.

-شاذ وملحد.... تربيتى راحت ياريتنى كنت رميت شوية اللبن فى الحوض وأنت صغير ومارضعتكش... ملحد يا زفت يا ابن الزفت.

-ماما مش قادر أتكلم كفاية..

-ملحد شكلك باين أكيد بتقول إن أصلك قرد.... بس أنت أصلك جاموسة يا ضناياماينفعش تبقى ملحد.

-يا ماما مش قادر.

-يبقى زورك اللى وجعك ما أنا قلتلك ينسون على ليمون.

-لا مش زورى.. أنا محتاج مهدئات.

-كمان مخدرات... عايز تاخد مخدرات يا فاشل يا صايع... أنت حالك مش هيتعدل غير بالجواز.

-المكتئبين مش بيتجوزوا وأنا مش هتجوز.

-مالها بنت خالتك.

-مش هتجوز.

-تبقى شاذ أنا حاسة إنك شاذ.... قلبى وربى غضبانين عليك ليوم الدين... والله بنت خالتك حلوة وبنت ناس

ينظر لها بغيظ وهو يقوم من السرير.

-بلاش كدب يا ماما مين دى اللى بنت ناس؟

-بتشتم أمك وأهلها يعنى مش بس شاذ وملحد وكافر وعايز تاخد مخدرات أنت كمان جاحد على امك ايه هتضربنى لما تكبر.

-كفاية يا ست الكل... أنا كويس بقيت كويس.

-طيب مدام أنت كويس انزل هات الفطار.

***

ينظر سعيد إلى دُنيا.

-أنتِ بتضحكى على ايه؟

-مامتك ظريفة جدًا.

-هى بتبقى ظريفة فعلا بس لما أكون أنا كويس، أمى كانت عايزانى أكون كويس بالعافية، ما هو أنا كان لازم أهرب منها هى وبنت خالتى.

ينظر نادر إليهم محاولا تذكر كيف أتى إلى هنا، يتركهم ويقف أمام السور لا يعلم إلى ما ينظر فقط يشعر بغصة فى قلبه، يزداد حنينه إلى شىء مفقود، يتجه إلى الغرفة ينظر إلى البرواز إلى تلك الصورة

صاحبة الملامح الضبابية، يعود إليهم وقد اختفى سعيد.

-هو أنت جيتى ليه؟ .. ما أنا كنت مبسوط ومكنتش بافكر أنا هنا ليه.

-أنا أساسا مش عارفة أنا هنا ليه، أنت سألتنى أنت مرتاحة.

-مش فاكر.

-أنا لسه ما متش عشان ارتاح... أنا لسه عايشة.

-مفيش حاجة يا دُنيا تقول إن الموت راحة.

-مفيش حد قال... بس أنا عايشة مش مرتاحة واللى مش مرتاح بيتعلق فى أى حاجة تخليه يهرب من اللى هو فيه، مفيش سبيل للراحة غير الموت.

-الموت وجع لكل الناس.

-لما تموت مش هتفكر فى الناس... أنت يا نادر عايش ليه؟

-عشان أنا خايف أموت!

-نادر أنت خايف تعيش أنما أنا مش عايزة أعيش... أنت لازم تعرف أنت عايز ايه.

-وأنتِ عارفة؟

-أنا عارفه بس أدينى جيت هنا... ومش عارفه ليه جيت.... يمكن فى حاجة أنا لسه معرفتهاش.... يمكن كان فى حاجة ناقصة فى الحكاية.

-قصدك الرواية اللى أنا كتبتها عنك... أو اللى أنا هاكتبها عنك.

-لا ... فى حاجة ناقصة فى قصتى فى حكايتى... وبما إنك كتبت عنى فيمكن عايزة أعرف أنت كتبتها أزاى.

-تعرفى يا دنيا، أنا من ساعة ما جيت هنا وأنا مرتاح يمكن عشان لسه باسمع أصوات أنا عارفها بس مش فاكرها، يمكن أكون مرتاح عشان بشوف ناس بتيجى وتختفى قدامى، يمكن عشان أنا مش مرتبط بحد واقعى غير بنفسى، بس اللى أنا متأكد منه أنى عارف حكايتى.

-احنا عكس بعض جدًا، بس أنا أحب أقولك إنك ماتعرفش نفسك..

-هو أنت عينيك بتلمع كده أزاى..

صُدمت دُنيا من السؤال، ونظرت بريبة.

-أنت بتعاكسنى؟

-مش عارف بس أنت شكلك نضيف قوى.

-وهو أنا كنت جايالك معفنة مثلا.

-أفهمى... أنت شكلك مش متوسخ زى ما أنت حكيتى لى.

-أنا نضيفة من جوايا يمكن فيه ناس حاولت توسخنى بس ربنا واحده اللى ساعدنى عشان أفضل كده.

-مدام أنت عارفة ربنا.. عايزة تموتى ليه؟

-ربنا رحيم مش يمكن خلق الموت رحمة.

-ربنا خلق الحيوات رحمة مش الموت.

-ربنا رحيم فى كل الأحوال.

دُنيا

كانت اللحظة الأكثر أثارة فى حياتى عندما أهدتنى أحدى صديقاتى فستانا، كانت المرة الأولى التى أحظى فيها بمتعة ارتداء ملابس أنثى، أتذكر أننى انتظرت حتى لحظات الفجر، ارتديت الفستان تحت عباءة سوداء وصعدت إلى أعلى السطح، خلعت العباءة وأصبحت ملكة وحيدة وبدأت فى السير على أطراف أصابعى، اختفى كل ما حولى من العشوائيات وشعرت بهواء يتسلل من تحت الفستان، كانت اللحظة التى أدركت فيها أننى الآن قادرة على التحول من فتاة إلى شابة مكتملة الأنوثة، فى تلك اللحظة أخذت الفتاة الصغيرة وألقيتها من أعلى السطح، فى تلك اللحظة شعرت بالخوف من كل شىء فى تلك اللحظة أدركت أن هناك شيئا من الممكن أن أخسره أدركت وأنا أشاهد العشوائيات تظهر مع بزوغ الشمس أننى أمتلك أنثى يريدون منى أن أحافظ عليها لرجل قد يكون مثل أبى لا يفهم شيئا سوى العمل الجاد وتفريغ الشهوة، فى تلك اللحظة أدركت قيمة الفقد، هل تعلم أنا لا أكره أبى لكنى أشعر بغيظ شديد من أمى لماذا لم تعطه ما يريد مقابل.... مقابل ... هل أنا أدعو هنا لأن تكون المرأة قوية، طوال فترة معاناتى لم أستمتع بكونى امرأة

سوى فى لحظات ضعفى، لم تكن كثيرة بالمناسبة، أتذكر أول أيام زواجى من رجل قررت والدتى أن تزوجنى إياه «عشان مناسب جدا» تلخصت فكرة الزواج فى مكان يحفظنى فيه زوجى، استمتعت معه فقط بأولى..... أنتظر لا لم يحن الوقت بعد لسرد قصة زواجى هناك القصة المتداولة الأشهر بين العائلات ألا تعرفها، ربما لا تعلم شيئا عن تلك المرحلة التى يمر بها أطفال العائلات فى فترات بلوغهم «كله بيحب فى كله يا نادر» حتى تستمر أحداها ويزداد الأمل وتزداد معها لحظات اكتشاف الآخر، لحظات لا يدرك احد عنها شيئا، هل تتذكر أنت مصدر معلوماتك عن العلاقة الكاملة بين الذكر والأنثى، قبل أن أخبرك عن مصادرى لم يعد الأطفال يعتقدون أن القبلات هى من أتت بهم إلى هذا العالم هناك أطفالا لم يصلوا لسن العاشرة يعلمون عن هذا الأمر أكثر مما تعلم أنت، أعود معك إلى مصادرى، صديقاتى أو زميلاتى إن صح التعبير كانوا يتحدثون بشكل مفصل عن تلك العلاقة، أين أنت؟ تغفو مرة أخرى، لم أكن أعلم أنى سأحكى لك على فترات.

***

خرجت من باب الحديقة المطلة على بحيرة يحدوها من الجوانب أشجار خضراء، وضعت خوذة على رأسها وجلست على «اسكوتر» وردى وانطلقت وهى تسمع صوت التقاء قطرات المطر مع خوذتها.

رفعت يديها وتركت المقبض، كادت أن تسقط عندما استيقظت على صوت شادى الأخ التوأم لها ينظر إليها.

-أنتِ كنتى بتحلمى؟

-آه

-بالاسكوتر برده؟

-برده.

-أنا مش عارف هيكون عندى عمر عشان أعرف أجبهولك ولا لأ.

-قسمًا بالله العظيم لو قلت كده تانى هزعل منك جامد.

-هو أنت عارفة أنت هتعملى ايه؟

-هاديك حتة منى، يا شادى احنا توأم من ١٨ سنة، أنت أكثر واحد عارف وحاسس بيا.

-يا شدا... أنت فيكى حاجة أنا مبقتش فاهمها.

-يا شادى يا شادى، فاكر لما كنا بنحكى للناس إنك أنت اللى بتتوجع لما كنت باتخبط حتى واحنا مش مع بعض، طيب فاكر زمان واحنا صغيرين لما كان إحساسنا واحد، فاكر لما كنا بنفرح سوا ولما كنا بنزعل كنت أنا بعيط ليا وليك، فاكر لما البنت المعفنة دى سابتك

وأنا قعدت أسبوع متنكدة مع إنى كنت بكرهها

-فاكر.

-الناس كلها فاكرة أن كل واحد له روح لوحده، احنا لا أنا وأنت عندنا روح واحدة يعنى لو حصل لك حاجة أنا هتعذب، فـ يا نعيش عيشة فل يا...

-ماتكمليش... أنا خايف.

-والله وأنا مرعوبة... أنا خايفة قوى بس مش خايفة قد ما خايفة إنى أفقدك.

-اللى أنا فيه ممكن يتحل بطرق كثير.

-كل طريقة فيهم فيها ألم ووجع أنا مش هاستحملها.

-شدا لو جرالك حاجة أنا مش ممكن أعيش.

-كده كده محدش هيعيش من غير التانى، دى حاجة أنا متاكدة منها.

-أنتِ ضعيفة.

-لو أنا مستحملتش، نص روحك هيروح ولو راح يبقى أنا وأنت هنكون فى مكان تانى.

-شدا!

-كفاية أبوس أيديك يا شادى، كده كده احنا لينا فى بعض، بس تحافظ عليها المرة دى ماتبوظهاش، أنت عارف أنى باحب أحافظ على حاجتى.

-أنت مش طبيعية.

-أنا نفسى أحس إنى طبيعية.

***

أشعر بالغثيان، لا زالت أشعر أننى أعيش فى حلم أو وهم، أين هى الآن أشعر بغربة للمرة الأولى منذ... منذ... منذ متى لا أعلم لا أتذكر، أصوات تتداخل فى راسى « أنا هفضل قاعدة... لا روحوا أنتو... ماما عايزة قهوة» هى المرة الأولى التى أخرج فيها من الغرفة منفردًا اسمع أصوات تخرج من غرفة بجانبى، الباب مفتوح نظرت خلسة حين فاجأنى رجل أربعينى.

-مين حضرتك؟

-أنا نادر ساكن وراك.

-أتفضل.

نفس مساحة غرفتى أو أكبر قليلا. لا على ما يبدو أنها أكبر بكثير، من الخارج لها نفس المساحة لكن من الداخل هناك أسرة كثيرة، دمى فى الأرجاء، هناك طاولة طعام ممتلئة عن أخرها زى مدرسى بألوان زاهية، تلفاز وصور كثير..

-أولادك دول؟

-آه...

-ما شاء الله... هم ساكنين معانا أنا عمرى ما سمعت صوت أطفال.

-لا هم كانوا معايا وأنا رايحلهم الموضوع إن أنا أتخرت عليهم بس معلش.

-هى أم الأولاد معاهم؟

-آه معاهم... ده اللى مصبرنى.

أعتقد إنه يريد مساحة لنفسه، إجاباته مقتضبه تركته وهو يعيد ترتيب الغرفة التى تبدو كقصر ملكى من الداخل على غير هيئتها من الخارج.

أشار:

-نادر نتقابل بالليل عشان مش قاعد كثير.

-آه تمام نتقابل.

تنادى دُنيا على نادر ينظر حوله إلى أن يجدها.

-نادر.. تعالى تعالى.

لم يتخط نادر حدود غرفته مطلقًا، يشعر بغربة لا زالت الأضواء تخرجه عن هدوئه.

-فى ايه؟

-أنا قررت أقعد هنا... مش هاروّح تانى.

يشير نادر إلى باب غرفة بعيدة.

-هتقعدى هنا.

-آه... بس أنت مش هينفع تدخل.

-مش عايز أدخل.... ماطلبتش أساسا.

-هو أنت ناشف قوى كده ليه؟

-هو أنت جيتى هنا ليه... ما أنا كنت قاعد فى هدوء.

يقطع الحوار رائحة طيبة تتجه دّنيا مباشرة إلى مصدر الرائحة، تنظر من خلال نافذة جانبية لامرأة تطهو طعام.

-تعالى يا بنتى ادخلى أنا بعمل صينية فراخ فى الفرن.

-فراخ....

-يا بنتى تعالى ماتتكسفيش وهاتى الواد اللى هناك ده.... تعالى.

ينظر نادر دون اهتمام وإن كان شغف دّنيا هو ما دفعه للاتجاه نحوها.

-بصى بقى... أنت اسمك ايه؟

-أنا دُنيا.

-بصى... لازم وأنتِ بتطبخى تدى كل حاجة حقها، سيبيك من إلى بيقول أن التوابل تتحط فوق بعضها أو تجيبى توابل جاهزة، ده أى كلام، أنت تقطعى الفلفل والبصل والطماطم، ترشى الملح وتعصرى الليمون على الفرخة بعد كده تحطى القرفة بهدوء القرفة مش بتحب اللهوجة، شوية زنجيبل صغيرين على القرفة زنجبيل بودرة وتلات ورقات لورا وتلاته حبهان، لازم تحسى كل حاجة من دول لو رمتيهم على بعض وخلاص هتبوظ أو هيبقى طعمها حلو بس....

تنظر السيدة إلى نادر.

-طعمها هيبقى حلو بس الأكل مش هيكون مبسوط وأنت بتعمله.

-هو الأكل بيتبسط؟

-كل حاجة فى الدنيا معمولة عشان تبسطنا بس لما نبسطها الأول.... هو أنت تعرف يعنى ايه النفس فى الأكل؟

-لا وعمرى ما حسيته.

-زمان كانت أمى بتقف فى المطبخ وهى على سنجة عشرة، زمان كانت تلبس جلابية المطبخ وتربط شعرها كويس وايدها تبقى زى الفل وتشغل راديو قديم على أذاعه الأغانى، أمى كانت بتقولى لما تيجى تطبخى لحد لازم الأكل يحس إنك فرحانة إنك بتعمليه للشخص ده، الأكل مش بيتعمل واجب.

تشير إليهم بالدخول.

-تعالوا الأكل قرب يخلص.

***

غثيان مرة أخرى فى صبيحة يوم جديد أو يوم أخر، أين السيدة العجوز**!** كيف أنتهى يوم... يوم هل كان يوم أمس أم يوم سابق أو منذ عام، كم مر من الوقت**!!!** ثم تظهر دُنيا من جديد.

دُنيا

بعد تلك الليلة التى حلّقت فيها فى السماء وأنا أرتدى فستان أنثى، بعد تلك الليلة كان على أن أخفى تلك المشاعر عمن حولى كان على أن أخفى أى مشاعر عن الآخرين وبالتبعية مشاعر الحزن، ربما خوفًا من انتهاك حرمات الحلم الذى حلمت به، حلمى فى أن أكون فقط فتاة.... هل أنا عشوائية فى سرد القصة، آخر ما توقفت عنه فى المرة السابقة كانت مصادرى عن الآخر. صديقاتى، أنت تحتاج للتركيز معى أنا عشوائية حقًا، كانت الفتيات من حولى يمارسن علاقات سحاقية، لن إنكر هناك الكثيرات يقعن فى محظور العلاقة مع المثل، لا يوجد علاقة بالمثل أساسا، العلاقة تكتمل ما بين موجب وسالب كيف يجذب سالبين أو موجبين.... أخرج خارج قصتى مرة أخرى، دعنى أذكرك والدتى التى كانت تبكى كل ليلة، صديقاتى اللاتى كن يعايروننى بتأخر انفجار بويضاتى، وفستانى الذى حلمت أن ارتديه، مصادرى فى العلاقات الجنسية وزوجى، تزوجت من رجل كان كل ما يتابعه هو حدود صدرى، كاد يومها أن يثنى عليه فقط، يومها حدثت أمى عن نظراته كان ردها إنه يتفحصنى، أنا البضاعة التى عليه أن يتفحصها، هل كان على يومها أن اخلع ملابسى ليدقق

النظر! ربما أراد أن يأخذ فكرة أكبر عن محارمى، نادر... نادر هل تسمعنى؟

فى البداية رفضته، قاومته، قاومت رائحة الشهوة النتنة وهى تخرج لاهثة من أنفاسه، أنا دُنيا المجبرة أن أكون بضاعة، هل تعلم قررت بعد الضغوط أن أكون بضاعة، قررت أن أستسيغ شهواته، فكرت يومها إنه ربما لو استطعت أن ألبى له احتياجاته أو أوقف تلك الشهوة. قررت أن أمتلكه، ولكن كم كنت مخطئة يا صديقى -نحن الآن فى مرتبة الأصدقاء أليس كذلك- بعد أول شهر أدركت أن كل ما كان يعنينى هو قلب يحبنى وكان على التنازل لأصل إلى قلبه، فكان على أن أطفئ شهوته لكنى لم أستطع فهو لم يشعل نور قلبى قط، لا ليس كما تظن هو ليس سىء على الإطلاق هو مجرد رجل لديه فكرة واحدة عن الأنثى بالطبع أنا لا ألومه على شىء، نادر من فضلك أنا لست مريضة أنت لا تفهم!

***

-يا عم نادر!

-ايه يا حلـ.. ايه يا سعيد.

-هى الست الطيبة دى مش هتعملنا أكل؟

-سعيد أنت مش بتشبع.

-أشبع ليه؟

-هو ايه اللى ليه... الناس بتاكل لحد ما تشبع.

-ساذج أنت يا عم الأستاذ نادر.

-أنا.. ساذج!!

-يا عم ماتزعلش بس أنت ماتعرفش حاجة.

-عرفنى... يا سيدى.

-الأكل بالنسبة لى هو أكثر حاجة ممتعة بأقل تكاليف... قولى كده مين ممكن يبسطك زى الأكل بفلوس قليلة دى الستات عشان تبسطك... هو بالحق أنت الستات بتبسطك زينا كده ولا أنت ايه اللى كان بيبسطك؟

-أنا معرفش ايه كان بيبسطنى زمان... بس واضح إن الستات كانوا مصدر إزعاج.

-طب لما هما مصدر إزعاج. مركز ليه مع ست الحسن؟

-احترم نفسك يا سعيد... أنا مش مركز مع حد.

يبتسم سعيد فى خبث.

-تمام يا أستاذ تمام.

قطع الحوار صوت استغاثة فتاة، ظهرت غرفة أخرى على الجانب الأيمن أمام غرفة دُنيا مباشرة، هرع الجميع أنا وسعيد ودنيا والسيدة العجوز وهذا الرجل الذى يمتلك قصرا داخل غرفته، وقف الجميع على الباب إلا دنيا كالعادة فتحت الباب بهدوء ونظرت إلى تلك الفتاة المكومة على الأرض وهى تردد بهدوء كلمات لم يُفهم منها شىء سوى أنها نداءات إلى الله، خلف دُنيا دخلت السيدة العجوز ووقف الرجال الثلاثة أمام الغرفة.

جلست دنيا على ركبتيها ووضعت يدها على كتف الفتاة.

-أنتِ مين؟

تصمت الفتاة عن الكلام ويبدو على وجهها الدهشة.

-أنتِ عارفة أنت فين؟

نظرت الفتاة بضعف وهى تتحسس جسدها.

-لا.

-أنتِ كويسة؟

-أنا خايفة قوى.. أنت مين؟

-ماتخافيش...أنتِ ايه آخر حاجة فاكراها.

-أخويا فين.... هو أخويا جرا له حاجة ومش عايزين تعرفونى.

-مدام أنت هنا لوحدك فـإن شاء الله أخوكى يكون بخير.

-أنا خايفة قوى.... أخويا حصل له ايه؟

-أكيد ماحصلوش... أنا هسالك ولو حكمت أرجع مخصوص عشان أطمن عليه هارجع.

-ترجعى فين... والله العظيم أنا خايفة.

لم تنتظر السيدة العجوزكثيرًا.

-تعالى يا بنتى عندى.. دُش سخن واعمل لك شوية نعناع هيهديكى خالص... مافيش حاجة يا بنتى تستاهل كده...... أنت اسمك ايه؟

-شدا... حضرتك تعرفى شادى فين؟

-اهدى يا بنتى اهدى كل حاجة بتعدى.

نظر نادر إلى السيدة العجوز.

-كل حاجة بتعدى حضرتك بس بتاخد حاجة مننا، فى حتة بتضيع

مننا مع كل موقف ... البنت خايفة.

-لا يا ابنى مفيش حاجة بتضيع... بس فيه روح بتجمد جوانا وأنا هتصرف معاها ماتخافش دى زى حفيدتى بالظبط.

نظر إليهم الرجل صاحب الغرفة الملكية.

-والله أنا عايز أخلص ومش عارف أنا قاعد هنا ليه وأنتو مين أنا عايز أروح للبنات عشان اتأخرت عليهم.

قاطعهم سعيد:

-بقولك يا حاجة أنت عاملة أكل ايه النهادرة؟

***

تجلس دنيا أمام صورة الفتاة صاحبة الملامح الضبابية وهى تحرك قدميها يمينا ويسارا وتحاول أن تكتشف ملامحها، فى اللحظة التى استيقظ فيها نادر، توجهت إلى المطبخ الصغير وتركته ليقيم طقوسه اليومية وبصوت أقرب للعذوبة قالت:

-سيبنى أعملك الشاى باللبن على طريقتى.

يصرخ نادر من تحت الماء:

-لا... أنا بشرب اللى أنا عارفه وبس.

يبدو على دنيا عدم الاهتمام وهى تنظر من جديد إلى الصورة.

-بقولك ايه هى دى صورة مين؟

-للمرة المليون.. أنت هنا عشان تحكى مش تسألى.

قالها وهو يستر نصفه السفلى فقط بفوطة فقد نسى أن يأخذ ملابسه معه.

-هعملك الشاى على مزاجى.

لكنه أجابها رغم اعتراضه:

-دى الصورة الوحيدة اللى فاكرها من قبل ما أجى هنا... رسمتها أول فترة ومش عارف الفترة دى ممكن تكون قد ايه... أنا هنا بلا وقت... رسمت جسمها كنت فاكر تفاصيله كويس بس لحد الوش وعمرى ما افتكرته فـ خليته ضباب كده.

-ده الموضوع كبير بقى... عندك حبهان وقرنفل.

-مش عارف... شوفى فى التوابل.... ده لو عندى توابل أساسا.

فتشت دنيا فى الأدراج الصغيرة ونادر يكمل:

-بس تعرفى الصورة دى كل لما أشوفها بادخل فى حالة مش مفهومة!

-بتحس بإيه يعنى؟

-أنا مش قلت لك قبل كده.. أنا هنا بلا إحساس أو مشاعر... أنا مش باحس لا بوقت ولا بأى نوع من المشاعر.

-بس أنت بتزهق.

-زهق مش مشاعر.

-أنت تعرف ايه عن المشاعر.... ايه أقصى حاجة شوفتها عشان تفهم فى المشاعر... عمرك حسيت إنك محبوس جوه جسمك... جربت... جربت؟

صمتت دنيا وأخذت نفسا عميقا.

-أنا لقيت حبهان وقرنفل.... بص بقى الطريقة دى مختلفة تماما عن اللى أنت تعرفها.

-أنا عايز كوباية شاى باللبن عادى.

-استنى... هقولك عشان تبقى تجربها لوحدك... أطحن الحبهان والقرنفل كويس... على بعضهم.

-كام واحدة؟

-شوية قرنفل وكام واحدة حبهان.... بص خليهم تلات فصوص

حبهان بس عشان الشاى ما يمررش وزيهم قرنفل وتغليهم فى نص كوباية مايه مع ملعقتين سكر ولما يغلوا كويس صب عليهم كوباية لبن وابقى زود السكر براحتك... ولما اللبن يغلى صفيه فى كوباية كبيرة وادعيلى.

-ايه القرف ده؟

-أنت جربت.

-لا.

-الحياة فيها حاجات كثير غير اللى أنت عارفه وحابس نفسك جواه... جرب... وكمل لى قصة الصورة.

-معنديش غير اللى أنا قلته.

-معندكش ولا مش عايز تفتكر؟

-دُنيا.. ماتنعميش صوتك عشان أنا مش بتأثر.

-أنت بدأت تحبنى ولا ايه؟

يضحك نادر بشدة وهو يأخذ رشفه سريعة من الكوب الذى وضعته أمامه، ويبدو على وجهه الحيرة.

-حلو؟

-مش عارف.. مش قادر استوعب طعمه.

-اشرب شوية كمان وغمض عينك.

-ليه؟

-هخليك تستمتع بالتجربة.

وقفت خلفه ووضعت يداها على كتفه وبدأت فى تدليك رقبته.

-اشرب دلوقتى.

أغمض نادر عيناه بعدما شرب نصف الكوب ثم نظر إليها...

-أنا افتكرت صورة مين دى.

بلهفة جلست أمامه

-صورة مين!!

-أنا فاكر بس مش حاسس بحاجة ناحيتها... أنا افتكرت إحساس الوجع بس أنا مش موجوع دلوقتى... أنا فاكر أنى كنت متضايق ومخنوق بس الإحساس مش موجود.

-مش معقول حد خانقك ووجعك وترسم له صورة.

-هى وجعتنى.. بس ده لا يمنع أنى كنت بحبها.

-دى قصة كبيرة بقى!

-أنا فاكر كل تفاصيل القصة بس مش فاكر الشعور... أنا تقريبا مابقتش أحس.... تصدقى أنا سعيد جدا.

-نادر.. أنت بتحس... أنت بدأت تهتم بيا؟

-هو بالعافية؟

-لا... مش بالعافية... بس أنت مش بتشوف نظراتك لى.... أرجوك ماتحبنيش.

-اطلعى بره... أنا كنت مرتاح من الهم ده.. أنت جيتى ومعاكى زهق.. وواضح إنك فتحتى الباب لناس تانية... المكان بقى زحمة... أنا واضح أنى همشى.

تتعالى الأصوات داخل رأسه.... يرتفع نبضه ويشعر بدفء فى جسده يقاوم تلك الأصوات ينظر إليها.

-أنا مش بحبك... أنا مش هاحب تانى.. أنا كل ما حب حد يوجعنى.

-طب ومامتك؟

-أنتِ تعرفيها منين؟

-أنت بتكلم نفسك وأنت نايم أكثر ما بتتكلم معايا... وعلى فكرة

أنت قلت اسمى كذا مرة!

-أنا مش بحلم.

-أنت ماتعرفش... يمكن بتحلم ومش بتفتكر.

نادر

الساعة تشير إلى الواحدة مساء، يجلس نادر فى غرفته يستيقظ على صوت يحاول أن يبدو خافتا، يرتفع الصوت تدريجيًا يحاول الاستيعاب، صوت أمه يتردد « وطى صوتك العيال نايمين» يرتفع صوت والده «مالهم العيال هو أنت عايزة منى ايه» يفتح الباب ويخرج وهو ينظر إلى الغرفة التى اعتاد النوم فيها بجانب والدته، والده لم يأتى منذ ولادته سوى مرات لا يتذكر أنها تعدت الخمس مرات، هو دائم السفر وعندما يأتى يتحول البيت، يتغير صوت الهدوء إلى صوت هذا الرجل الذى يدّعى إنه والده.

تقف الأم بهدوء رغم كل الضغوط.

–هو أنت عايز منى أيه... ننفصل وخلاص.

–هو أنا كل ما أنزل تقوليلى نتهبب؟

–أنا ماعرفكش... أنا آخر تسع سنين فى حياتى قابلتك فيهم بالكثير حوالى خمس شهور، بتيجى وتطلب منى أكون زوجة، على أساس ايه تفتكر إنى هتقبلك.

يقف والده وهو يرتدى ملابسه بعصبية بالغة لا تتناسب مع هدوء والدته.

-أنا غلطان أنى نزلت ما أنا مسافر ومرتاح من خلقتك.

-خلاص نرتاح من بعض خالص.

يتوقف وهو يرتدى القميص ولم يغلق زرار بنطاله بعد.

-سيبى الشقة وأنا أطلقك.

بدهشة: -طب والأولاد أنت عندك بنت عندها عشر سنين وولد تمن سنين.

-مش أنت ماتعرفنيش عشان مسافر... أكيد بتزنى على ودانهم طول ما أنا مش موجود وبتقوليلهم كلام غلط عنى.

-أنا بنت أصول.. واللى بينا حاجة واللى بين ولادك حاجة تانية.

-مش ولادى... أنا ايه اللى عرفنى إذا كانوا ولادى ولا لأ.

ينظر نادر إلى وجه أمه الذى تحول إلى حمرة الدم.

-بص بقى كون أن أنت نجس وبتلف على النسوان وأنا عارفة مش معناه أنى زيك.... فوق.. أنت مش جايبنى من الشارع.... أنت تغور فى ستين داهية دلوقتى والصبح تيجى بمأذون.... تطلقنى

وأسيبلك الشقة واخد أولادى.

-يا شيخة بلاش قرف... ده أنا هرتاح.

فى تلك اللحظة اختفت كل مشاعر الغضب من على وجه الام، سألها نادر:

-فى ايه؟

-مفيش يا عيونى... بابا عنده مشاكل فى الشغل ومتعصب... احنا بكره هنروح نقعد عند جدتك شوية.. فى مشكلة؟

-مش عارف.

-لا مفيش أى مشكلة المهم ادخل اقعد مع أختك دلوقتى عشان نصحى الصبح نلحق نلم حاجتنا عشان أوديكم عند تيته... قبل ما بابا يرجع عشان هو مش عايزكم تشوفوه وهو عصبى...

تجلس خلود فى زاوية الغرفة تنظر إلى نادر وتفتح يدها له، يجلس فى حضنها يرتجف جسديهما معًا تحاول أن تتذكر كلمات قد لقنتها لها جدتها لا تتذكر سوى «يا كاشف الغم فرج همى» ينظر نادر إليها.

-خلود أنا خايف.

-وأنا كمان قوى... بابا صوته عالى.

-هو أنت بتقولى ايه؟

-ده دعاء... مش فاكر لما تيته قالت لنا نقوله لما نبقى خايفين قول معايا يا نادر قول.

يرددا معًا بصوت ضعيف « يا كاشف الغم فرج همى» يرتجفا معًا حتى رحل.

انقطعت أخبار هذا الأب المزعوم لسنوات، كان على والدته أن تبنى حياة جديدة، تنازلت الأسرة عن الكثير حتى يصمدوا ولحسن حظها أن نادر كان على قدر المسؤولية لم يشتك يومًا لم يطلب المزيد، كانت الطمأنينة التى تُصدرها أمه إليه تكفى أن يبقى ساكنًا، وحين بلغ من العمر ما يساعده على العمل لم يترك إجازة إلا والتحق بعمل فيها، كان نادر وسيم حسن المظهر مما ساعده على العمل فى مجالات مختلفة، سنوات عجاف تمر ببطء لكنها تمر لا زالت الأم محافظة على ابتسامتها لم يراها يومًا تبكى ربما كانت تبكى وحيدة أو بعيدًا عن أعين الناس لكن نادر ظل محافظا على ابتسامتها فى ذاكرته ومحتفظًا بحقد لم يبح عنه يومًا لاحد.

***

تقف السيدة العجوز على راس الطاولة يجلس أمامها نادر جانبه على اليمين دُنيا وعلى يساره سعيد جانبه مرزوق الرجل صاحب الغرفة

القصر أمامه شدا.

ينظر سعيد إلى الأطباق المرصوصة وينظر إليها.

-هو حضرتك اسمك ايه؟

تبتسم الجدة.

-احنا سلو بلدنا يا ابنى عيب أن حد يسأل الست عن اسمها لما تكون مخلفة رجالة وعرفت تربيهم... أنا اسمى أم عاصم.

-ولو مخلفتش رجالة.

-يبقى أنا اسمى كريمة.

-طيب أنا أقول لحضرتك يا ماما كريمة ولا يا ست أم عاصم؟

-اللى أنت عايزة...

يسيل لعاب سعيد وهو ينظر إلى الأطباق الممتلئة، دون انتظار أو إخطار يفتح أخر أزرار قميصه ويشمر عن ساعديه وخلسة يفك الحزام قليلا.

-أنت بتعمل ايه؟

-بوسع للأكل مكان يا أستاذنا هو الموضوع مش سهل كده يعنى.

تنظر شدا بتوجس تحاول الاستيعاب وهى تردد بهدوء «شادى... أنت كويس»، تنظر لها دنيا وتحاول أن تخفف عنها وطأة الصدمة.

-أنا اسمى دُنيا... كنت بروح وأجى كثير بس دلوقتى أخدت أوضة جنبكم، ده يا ستى اسمه نادر فنان ومش عارف ولا حاسس بنفسه.

ينظر إليها نادر.

-أنا مش فنان ولا حاجة أنا هنا باريح دماغى.

لم تعر انتباها لما قال وأكملت....

-نادر بقى كتب رواية عنى.. بصى هو هيكتب عنى بس هو مش عارف، اللى قدامك ده مرزوق، كل اللى أنا أعرفه عنه إنه شقيان عشان خاطر بناته وليل نهار بيقول إنه عايز يروحلهم.

يتحدث سعيد وهو يأكل: -طب ما تروحلهم!

ينظر نادر إليه

-سعيد... أنا شايف كرشك من جوه.. اقفل بقك واتكلم بعد ما تبلع.

ينظر مرزوق إلى سعيد

-أنت بتعمل ايه فى حياتك يا أ. سعيد؟

-أنا مش أستاذ وأحسن حاجة باعملها أنى باكل... عارف تقريبا كل أماكن الأكل بأسعارها وعلى حسب حالتك المزاجية أخدك وأكلك فى المكان اللى يزبط كل حاجة وبعمل حاجة كمان بس ميصحش عشان البنات.

-بس؟

يضع سعيد قطعة من اللحم كان على وشك التهامها وهو ينظر إلى مرزوق

-آه بس... أعمل ايه تانى؟

-ماجربتش تبقى مسؤول؟

وابقى مسؤول ليه يا أستاذنا أنا عايشها كده... بس تعرف أنا خايف.

يرد عليه مرزوق:

-ايه خايف تموت لوحدك؟

-لا أنا مش خايف أموت لوحدى.. أنا خايف أعيش لوحدى... خايف الناس اللى بتكلمنى عشان مطعم ولا أكلة ييجى عليهم اليوم ويبقوا مش محتاجنى، خايف أصحابى يختفوا تدريجيا وألاقى نفسى قاعد لوحدى... عايش لوحدى.

-طب ماتتـــ...

-هتعمل زى أمى وتقولى أتجوز... أتجوز**!!!** ايه الفكرة أساسا من الجواز.....

ينظر سعيد إلى الإناث حوله ثم يكمل:

-أنا آسف يعنى فى اللفظ بس تفتكر الناس بتتجوز ليه.. عشان يناموا مع بعض**!**

صدمة علت وجه شدا التى لا زالت لا تستوعب أين هى.. تهز دنيا رأسها يمينا ويسارا وهى تردد بصوت هامس «كلكم دماغكم كده» يرد عليه نادر:

-ايه يا ابنى اللى بتقوله ده؟

-بقولك ايه يا أستاذنا.... أنا مش عارف ليه أساسا ربنا حرم العلاقة مين غير جواز.. عشان اختلاط الأنساب طب مش هخلف... عشان الإشهار... هاقول لكل الناس إن دى صاحبتى وعايشين مع بعض ومفيش راجل غيرى هيلمسها.

تقطع السيدة كريمة جزءا كبيرا من فرخة أمامها وتضعها أمام سعيد.

-كُل دى يا ابنى.

-والله حضرتك اللى فهمانى.

-تعرف يا سعيد... ربنا لما بيحط أوامر بيحطها مش عشان واحد، بيحطها عشان مجتمع كامل باللى فيه مش عشان مزاجك، طيب أنت يا سيدى زى الفل وهتعرف تعمل اللى أنت بتقوله ده غيرك هيعرف؟

-أنا مالى ومال غيرى ربنا بيحاسبنى لوحدى.

-ربنا هيحاسبك لوحدك بقانون اتحط لكل الناس.

-بصى حضرتك أنا مش ملحد زى ما أمى بتقول.

-وأنا مقولتش إنك ملحد يا ابنى... عايز تفكر فكر زى ما أنت عايز بس لازم تعرف إن القوانين بتتحط عشان الأغلبية تمشى عليها مش هنعمل حاجة ليك لوحدك.

يأكل سعيد قطعة الدجاج وينظر إليها.

-بتحطى عليها ايه يا حاجة؟

-بحط عليها كل التوابل وأنا بضحك.

يصدمها مرزوق: -ما أنت مش شايلة هم حاجة.

-مين قالك؟

-أنا مش بحب الناس اللى بتقعد توعظ دى وهى مش عارفة حاجة.

-بص يا مرزوق .... كل واحد فى الدنيا فاكر إنه شايل هموم لوحده... أنت ماتعرفش عنى حاجة... ولا تعرف أنا تعبانة ازاى... ولا عندى ايه... أنا بتمنى الموت كل دقيقة، تعرف يعنى ايه تتمنى الموت عشان ماتتوجعش، تعرف معنى إن دموعك من كتر الوجع مش بتنزل إنك تعافر عشان ماتعش إنك تعافر عشان تموت، تعرف يعنى ايه إنك تتمنى ربنا ياخد منك نعمة الإحساس عشان تبطل تحس، إنك شايف العجز فى عيون اللى حواليك عشان محدش قادر يساعدك، إنك تتوجع مليون وجع فوق وجعك وأنت شايف عشرتك بتبكى على الأرض وهى ماسكة ايدك، إن جوزى يبقى بيصلى ويدعى عشان ربنا يشفينى وأنا شايفة عينيه بتقول لى موتى بس خدينى معاكى، تعرف ايه عن الوجع وأنت كل دقيقة فى حياتك بتحط هموم على أى حد بتحبه، تعرف ايه ونار ماشيه فى شرايينك وانت من الوهن مش قادر تقول لا، تعرف ايه عن الوجع وانت بتتمنى الموت ومش طايله

ينظر إليها مرزوق....

-أنا عايش صاغ سليم وبتمنى الموت كل دقيقة عشان بناتى، حضرتك هتعرفى يعنى ايه عجز لما ولادك يموتوا قدام عينك وأنا كل اللى فى ايدى وقتها انى اصرخ، تعرفى ايه عن العجز؟

-أنا اعرف حاجات كثير يا ابنى عن العَجَز.

تنظر دنيا إليهم وتحاول كسر حدة الموقف.

-تيجوا نعمل حاجة مختلفة بالليل... احنا واضح إننا مش هنقعد مع بعض كثير.

***

صوت سعيد يطرق على الباب من المؤكد إن ميعاد استيقاظى لم يحن بعد، هل سأستيقظ يومًا دون شعور الغثيان، اللعنة على هذا الشعور.

-أدخل يا سعيد تعالى.

لم ينتظر سعيد الرد فقد كان يضع احتياجات نادر فى المطبخ الصغير وقبل أن يخرج نظر سعيد إلى نادر.

-أنت يا أستاذنا من امتى ليك فى الحاجات الحلوة؟

-حاجات ايه؟

-فى واحدة مستنياك بقالها كام يوم بره.

يعتدل نادر فى جلسته، وياخذ نفس عميق.

-سعيد.. قصدك على دُنيا؟

-أقسم بالله أنت برنس... وكمان عرفت اسمها.

-سعيد أنت عارفها وشوفتها كذا مرة.

رفع سعيد حاجبيه

-بجد... والله يا أستاذنا مش فاكر.. بس مدام أنت مبسوط يبقى تمام.

-مبسوط بايه يا حلوف.. يا حلوف.. يا حلوف.

-تانى حلوف... مقبولة منك المرة دى بس عشان واضح إن الحلوة مأثرة عليك... همشى أنا بقى عشان عندى كذا مصلحة.

-سعيد استنى... هو أنت ابن ناس ولا من الشارع ولا أنت متعلم ولا جاهل؟

-أنا يا نادر على حسب الموقف... أنا زهقت أكون حاجة واحدة.. أنا طول عمرى نفسى أكون سعيد ما أنت عارف كل حاجة عنى، ولا هتنكرنى؟

يختفى سعيد ويخرج نادر بحذر أمامه المشتل الصغير كما هو، ينظر للخلف داخل الغرفة يجد الأوراق يعود سريعًا إلى مطبخه الصغير ينظر إلى بقايا فصوص الحبهان والقرنفل، يعود إلى الخارج ينظر فى

الركن يجدها،، كانت تجلس على الأرض مستنده على سور السطح المواجه لمشتله الصغير، خلعت قميصها من حرارة الجو فكشفت عن ذراعيها وعن رقبة عنقاء عاجية واستدارة فى خصر يتوقه حزام لم استطع تمييز لونه من انعكاس ضوء الشمس عليه، ما هذا نفس الموقف من جديد، نفس الحالة نفس الفكرة يتكرر كل شىء هل أنا حقًا نادر.

تتحرك دُنيا ناحيته وهى ترتدى قميصها ببطء عن المرة السابقة.

-ماتخافش يا نادر... ماتخافش... أنا دُنيا واحنا اتقابنا كثير... وأنت هتكتب رواية أو كتبت رواية عنى... مش مهم.

-يعنى كل اللى حصل ده؟

-كل اللى حصل أو هيحصل أو بيحصل دلوقتى مش هتفرق المهم إنه حدث موجود.

-أنا مش فاهم أى حاجة.

-تشترب شاى باللبن زى أخر مرة... تعالى أدخل.

يقف نادر وهو فى حيرة تتردد أصوات جديدة صفارات متقطعة، أصوات أطفال، هناك صوت لأحدهم يطلب طعاما، برودة فى أطرافه رغم حرارة الغرفة.

-دُنيا...

تلتفت مبتسمة.

-أول مرة تنادى عليا.

-مالك مبسوطة كده.

-أنت محدش قالك لما راجل ينده على واحده باسمها وهى تسمع اسمها واضح بتحس بايه.

-لا الصراحة مفتكرش أنى كنت بنت... وأنا بنادى عادى.

-تؤتؤ تؤ... أنت نادتنى بصوت مش عادى.

-أنا؟

-آه... والمفروض أتبسط.

-ايه اللى يبسط؟

-نفس الإحساس اللى كنت حساه وأنا لابسة الفستان ولوحدى وعلى السطح... لما راجل ينده عليا بحنيه قوى كده بحس أنى بنت.

يتفحص نادر أطرافه ويحاول تدفئتها... تضع دُنيا مشروبه الساخن وتسأله:

-مش هنكمل؟

-آه.. نكمل.. وماله... نكمل.

-مالك؟

-أنا بتوه منك... مش عارف أنت بتكتبى ولا بتحكى ولا ايه بالظبط؟

-لا المرة دى هتكلم مش هكتب.. هحاول أفضل معاك هنا.

-كويس... عشان أنت عشوائية جدًا فى الكتابة.

-ليه؟

يمسك نادر أوراقا ويضعها فى راحتيها.. حين سار فى جسده تيار سقطت بعده الأوراق من يديه، نظرت دُنيا إليه.

-نادر.. أبوس ايدك ماتحبنيش.

-مش بحبك.

-هحاول أصدقك.. هحاول.

-مش هالمسك ومش هناديكى باسمك ولو عايزة تمشى امشى أنا هقعد تانى.

-لا نكمل... نكمل.

أشار نادر إلى الأوراق.

-ابقى اقرى اللى أنت كتباه.

-هو أنا اللى هكتب عنى.. أنا بحكى اللى بيجى على بالى.

-كملى يا دُن.....

أزاح وجهه عنها.

-كملى يا أى حد كملى.

-عايز تعرف ايه؟

-ركزى فى الحكاية مين أصل المشكلة.

-كل حاجة كانت أصل المشكلة، أمى وأبويا والشارع والمدرسة وكل حاجة مكانتش عايزة تعترف بى كبنت، أنا بنت المفروض كل حاجة تمشى على الأساس ده مش تدور على انى عكس ده.. بتعرف ترقص.

ينظر نادر إليها فى حيرة.

-رقص ايه!! ركزى شوية مش معقول.

-هو أنت مش سامع الأغنية....

-دُنيا أنت عارفة أن مفيش عندى أصوات... مفيش... أنا مش

سامع.

-تخيل يا نادر... تخيل.

-ممكن أسالك سؤال؟

-بما إنك واثقة من نفسك كده... خايفة ليه أحبك.. باعتبار إن ده ممكن يحصل أساسا؟

-أنا مش خايفة من حبك... خالص، يا ريت كان عندى الرفاهية دى، بس أنا معنديش.

-ليه؟

-الحب رفاهية مش للى زيي، أنا طول عمرى مُجبره على العيشة كبنت من بره و.... يوووه نفس الكلام بكرره، تعرف ترقص ولا لا.

-بذمتك ده منظر واحد بيرقص؟

-هو احنا داخلين الأولمبياد... اسمع بس.

-مفيش حاجة تتسمع.

- والله فى... دايما فى حاجة بتتسمع.

-أنا بحب السكون وأنتِ من ساعة ماظهرتى وأنا عايش فى قلق.

تقف دّنيا على أطراف أصابعها وترفع يديها إلى أعلى وتحاول الدوران كراقصات الباليه لكنها تفشل وتعاود الكره أكثر من مره ونادر ينظر إليها.

-تعرف فى وقت معين لازم تسيب المشاعر اللى جواك تعبر عن نفسها، تسيبها هى اللى تسوق، إنك مثلا تعيط أو تصوت ومن غير ما تسال نفسك مالها، كل لحظة بتعدى عليك وأنت بتمنع مشاعرك بتخنقك، كمية وجع محدش بيحس بيها غيرك لوحدك.

تتمايل يمينا ويسارا وتملئ الغرفة بحركاتها الراقصة التى تفتقر إلى الاحترافية.

-الناس هتلومك عشان أنت مابقتش طبيعى، لو ماسيبتش نفسك دلوقتى هيجى لحظة وبعدها كل شىء بينهار حتى لو فكرت وقتها إنك تسيب مشاعرك هى اللى تسوق ... عارف ليه؟

يقف نادر فى الزاوية وهو يبتسم على حركاتها ولا يبدو عليه أى توتر.

-ليه؟

-عشان وقتها بتكون خنقت مشاعرك بما فيه الكفاية ومعاها روحك بتموت عشان كده أنت مش سامع الموسيقى.

-وأنتِ مشاعرك بتقولك أرقصى؟

-لا... خالص بس أنا فرحانة سمعت أن جوزى طلقنى.

-سمعتى... هو أنت كل ده كنتِ متجوزة.

-احنا هنا بنسمع بس، ولو قصدك على الورق آه متجوزة على الورق بس مين قالك أن الجواز ورق وبس.

-يعنى ايه الجواز مش ورق يعنى ممكن تكونى مع أى راجل...

توقفت دنيا عن الرقص ونظرت إليه بحدة.

-حتى أنت فاكرنى شمال، حتى أنت اللى سايبة الحياة وبحاول احكيله، أنا مش ش.... أنا مش بنت ليل يا أستاذ ومش باجرى وراء شهوة، هو أنت فهمت أى حاجة من اللى أنا قلتها، هو أنت فاهم ولا أنت قاعد بتشرب زفت باللبن وبتاخد دش وسايب مخك، أنت أزاى أساسا تفتكر إنى قصدى أكون مع أى راجل، هو ايه الرجالة مفيش فى دماغها غير كده، الست اللى لابسة بتبقوا هتموتوا تشوفوا اللى تحت اللبس واللى قالعة بتموتوا عشان تلمسوها والمطلقة شمال وايييييه، حرام عليك.

ارتدت دنيا حذاءها بعد أن كانت قد خلعته وهى ترقص ونظرت إلى نادر.

-اسفه أنى جيت، وأنا كنت غلطانة لما جيت هنا، أنا همشى

واكتب بقى ماتكتبش واضح إن كده كده كلكم مش شايفينى غير ع السرير.

-أنا ماقلتش أى حاجة.

-أنت ماقلتش.. أنت بس جرحتنى زيهم بالظبط.

يقف سعيد عند باب الغرفة وهو ينظر إلى دنيا.

-هو ايه جو الأفلام قوى ده.... هو ايه اللى جرحك ووجعك الراجل سأل سؤال ردى؟

ابتسم نادر فى وجه سعيد فربما يكون قد أنقذه من فقدانها قبل أن يفهم.

-آه والله يا حلـ... يووووووه يا سعيد.

نظرت دنيا إليهم.

-طيب ادونى فرصة أعيط... أنا اتوجعت والله..

-يا ست الكل عيطى.

ينظر نادر إلى سعيد.

-هو مش أنت لسه كنت ناسيها.

-أنا!!!

-أمال مين وهو بيجبلى الحاجة شافها ومكانش عارفها.

-يا أستاذنا أنا دماغى دفتر... أنا أو غيرى المهم صالحها.

وفى دهشة: -هى راحت فين... يا دُنيا؟!

يخرج نادر مسرعًا إلى غرفتها ولكنه وجدها خالية تماما.

نادر

يجلس نادر أمام والدته.

-ممكن أسألك سؤال؟

-عارفاه ومستنيه طول عمرى إنك تسأله.

-مين السبب أنت ولا بابا؟

-بص يا نادر... أنا طول عمرى وأنا بحاول مكرهكمش فيه... عشان وارد أكون أنا اللى كنت غلط ومكنتش عايزة قراركم لما تكبروا يكون مبنى على مشاعر أنا بنيتها، أبوك عندك روح وكلمه، وقرر أنت براحتك

-أروحله مش هتزعلى؟

***

- تعالى يا عاصم أقعد جنبى... أنت ماجيتش ليه بقالك كام يوم!

رغم أنه لم يفارقها للحظة.

-حاضر يا أمى هافضل قاعد.

-كويس.

-بس من أمتى بتقوليلى يا عاصم مش يا ابنى.

-عشان خلاص بقى أنا هامشى.

-طولة العمر ليك يا ست الكل.

يجلس عاصم على طرف السرير وهو يحتضن رأسها.

-لا كفاية كده خلاص.. أنا نفسى بقى يوجعنى قوى وصدرى مش مستحمل أنفاس تانية شغال بقاله عمر.. مع أن يعز على قوى أنى أسيبك يا ابنى بس الدنيا.

ينام بجانبها ويضع رأسه على كتفها.

-ماما هو أنت بتقعدى تكلمى مين؟

-حبايبى باكلم حبايبى كلهم وناس تانية عايزين يمشوا مع إنه لسه بدرى قوى.

تغمض عيناها وتنظر إلى أعلى وهى تبتسم « أنا مش ناسية هاسألك

يا بنت هاسألك» ينظر إليها.

-بتقولى حاجة يا ماما؟

تعود إليه.

-أنا تعبتك معايا قوى يا عاصم، سنين يا ابنى وأنت شايل وجعى وشايفاك ومش عارفة أساعدك أنا مش قادرة أساعد نفسى يا ابنى والله.

تأخذ نفسها بصعوبة.

-كان نفسى أشوف بنتك فى فرحها إياك تعيط يا ولدى لما امشى أوعى تزعل أنا مايخلصنيش أشوفك زعلان ما هو أنا أكيد هشوفك بس مش هاقدر أطبطب عليك... عاصم إياك تنسى أمك برده أنا عارفه إنك أصيل ومش هتنسى.

-لو بايدى كنت أخدت الوجع منك.

-ولا يوم أشوفك كده ولا يوم يا رب.

***

ممرضة تجلس أمام مرزوق.

-أنت آخر حاجة فاكرها ايه؟

-أنا فين وأنتم مين؟

-أنا هقولك كل حاجة.. بس قولى آخر حاجة فاكرها ايه؟

-بناتى فين... هو أنا عايش صح! بناتى فين؟

-احنا معندناش أى معلومات عنك أنت قول لنا أى معلومة عشان نقدر نساعدك.

-ماتوا صح... التلاتة ماتوا الصغيرة كانت ماسكة أيد أمها لا مش مسكاها دى كانت رابطاها بإيشارب أخضر لقيتوا الإيشارب... هى كانت مربوطة فى أيد أمها اصل الصغيرة كان جسمها قليل وأنا كنت خايف تضيع أهى ضاعت يا ريتنى كنت رابطها فى ايدى أنا... طيب أنا كنت هاربطها ازاى والبكرية كانت قاعدة جنبى عشان تحمينى اصل البكرية كانت بتحبنى وكانت خايفة هى ماتت اوعى تكون ماتت وهى خايفة هى مش بتخاف من الضلمة لا يومها كانت الدنيا ضلمة قوى والموج عالى.. الوسطانية أكيد عايشة البنت دى بتعوم زى اللهلوبة بتعرف تعوم وأنا كمان بعرف أعوم قلتلها لو حصل حاجة خلى بالك من الصغيرة عشان مش بتعرف تعوم.. ومراتى بتعرف تعوم برده أصل أنا وهى كنا ولاد عم وبنعوم مع بعض من واحنا صغيرين فى البحر كنا بنهرب من أهلنا عشان نعوم... هى فين دى عمرها ما سابتنى ده أنا كنت فى البحر عشانهم... ماتوا صح

كلهم ماتوا طيب أنا عايش ليه.. معلش يا بنتى أنا عايش ليه... أنتو عايزين تحرمونى منهم ليه سيبونى.. سيبينى يا بنتى.

-يا أستاذ أنا معرفش والله قولى بس أنت منين أو أى معلومة اعرف أطمنك بيها

-لا هم ماتوا اصل أنا كنت سامعهم وهم بيصوتوا لا لا لا محدش صوت ماتوا على طول ماتوا... العيال ماتت كل حاجة كنت عايز أعملها ماتت عيالى ماتوا أعمل أنا ايه دلوقتى كنت عايز أعمل فلوس راحوا عيالى ومش هعرف أعمل فلوس ولا أرجع عيالى تانى... يا بنتى سيبنى والله ماهقول إنك سبتينى أنا عايز أموت بقى.

***

أفتح عينى ومعها يعود الغثيان، أنظر إلى الكرسى الذى جلست عليه دنيا على أجدها لكنها اختفت منذ اللحظة التى نهرتها فيها، لا أعلم لماذا قررت الحكم عليها هل حقًا أخشى الوقوع فى حبها، أنا لا أمتلك مشاعر.... أنا لا أمتلك مشاعر، أنا هنا صرت وحيدا مستمتعا بما أنا عليه، نعم أنا فى حالة هروب من كل شىء ربما أصبحت الآن أضعف من المواجهة لكن لماذا اشتاق إليها، لماذا أفكر فيها رغم كم التغيير الذى طرأ على حياتى منذ أن أتت، حمام ساخن وعودة إلى روتينى المعتاد سوف ينسينى تلك الأيام، أنا صمدت هنا لفترات،

لا لا أنا لا أفكر فى العودة مرة أخرى، لمن أعود.

يقف نادر وهو ينظر إلى قلبه الذى سيطر عليه اللون الأبيض وبروازه الفراغ ثم يرفع رأسه تدريجيا إلى صاحبه الوجه الضبابى وللحظة يعود شكلها إلى ذاكرته ومضة سريعة كفلاش الكاميرا وهو يلتقط أحدى لحظات السعادة لكن اللحظة خلفت شجن داخله، سار بشكل عشوائى داخل الغرفة، أو ربما ظن هذا كان يتتبع الأماكن التى رقصت عليها دُنيا، دخل وترك جسده لبخار الماء، أغمض عيناه وسمح لنفسه أن يبتسم وهو يتذكر أول مرة رأى فيها دُنيا، ابتسم وهو يتذكر اللحظة التى أغلق الباب على يدها واللحظة التى حاولت أن تخفى جسدها عن نظرات عينيه، فتح عينيه على صوت خارج الغرفة.

-مين بره... سعيد؟

لم يجب أحد حتى خرج نصف عار وهو ينظر إلى دُنيا، كانت ترتدى فستانها الذى أردته أول مرة أعلى سطح منزلها، فستانها الذى جسد أولى ملامح أنوثتها، كاد نادر أن يفقد غطاء جسده السفلى لكنه تشبث به فى اللحظة الأخيرة، وقفت أمامه فى ثبات، عجزت الكلمات فى تلك اللحظة على الاعتذار عما بدر منه أو إبداء الإعجاب بجمالها، أو إخبارها أنها كانت على حق حين أخبرته أنها شعرت بأنوثتها فى هذا الفستان، صمت دام لوقت، ثم باغتته بسؤال:

-حلو الفستان؟

تفحصها مرة أخرى.

-أنا آسف إنى بتفرج عليكى... بس آه حلو.. وآسف إنى اتكلمت عليكى وحش، وآسف إنى قابلتك فى وقت ومكان مش مناسبين، وآسف إنى مش عارف ولا فاهم أى حاجة.

-هتكمل الرواية اللى كتبتها عنى ولا مش هتكتب؟

-أنا مش عارف يا دنيا مش عارف.

-لا هتعرف... حاجة كمان قبل ما أكمل... أنا لبست كده عشان أثبت لك....

-مش محتاجة تثبتى حاجة، أنا مش مهم عندى أنت ايه أو كنتِ أزاى، أنا بجد مش عايز أحكم.

-ممكن لما تسمع الحدوتة تحكم.

-مش هحكم برده... أنت بتحكى حدوته أنا معرفش باقى الناس فيها، وارد تبقى صح ووارد تبقى غلط

-ووراد يكون كلامى صدق.

دُنيا

لا أتذكر أين توقفت، هل أخبرتك عن تلك اللحظة قبل زفافى! هل أخبرتك عن كم الخوف من المجهول الذى عشت فيه! أو خوفى من هذا الشخص الذى سوف يمتلك أغلى ما أملك.. أنوثتى، لا تقاطعنى ودعنى أحكى لك عن اليوم السابق لزفافى، جلست أعز صديقاتى كانت وقتها أعز صديقاتى لا أعلم اليوم عنها شيئا تركتنى هى أيضًا، كنت فى أشد الاحتياج إليها، كنت أظن أنها ستكون جانبى أستمد منها قوة، ربما كنا على خلاف لكن هل للخلاف معنى بين الأصدقاء فى وقت الأزمات، أنا فى أزمة الآن يا نادر لا تضحك رجاء، لا يوجد علاقة بين الأزمة وهذا الفستان الذى أرتديه، لا لن أخبرك عنها سوف أكمل لك تفاصيل الليلة التى سبقت زفافى، صديقتى كانت جانبى فى فجر هذا اليوم ومعها جميع أدوات التجميل الطيب منها قبل المؤلم، مناطقى الخاصة كانت مستباحه لصديقتى وسيدة أتت بها أمى، نهار كامل من الآلام فى عمليات إزالة سنوات الطفولة كاملة من على جسدى، رحلت صديقتى وتلك السيدة بعد معاناتى وتركونى وحيدة فى غرفتى، أغلقت الباب بالمفتاح ووقفت عارية أمام المرآة وابتسمت ورقصت لم أشعر بأى عيوب فى جسدى الهواء يلامس

جسدى وفى لحظة توقفت وتذكرت أن بعد أقل من يوم سأفقد كل هذا، هل تظن حقا أن زوجى سىء كما أخبرتك، أو أن توقعاتى كانت أكبر من الحقيقة، لا تندهش أنا أخبرتك أنى سأحكى لك، أعلم أننى عشوائية لكنى حقا لم يكن زوجى سىء هل يوجد رجل لا يبحث عن إراحة شهوته، ربما أنا فعلا كنت جميلة وهو كان يستمتع بتلك اللحظات معى، هل أنا المقصرة، أكنت أنتظر منه كلمات حب وصفاء هل كنت أنتظر منه بعد يوم شاق فى العمل أن يأخذنى بين أحضانه لنرقص معا، زوجى كان هادئ الطباع قليل الكلام، نعم مرة أخرى كانت شهوته طاغية لكنه لم يترك شهوتى يوما مشتعلة، هل كانت تلك طريقته التى كان يخبرنى بها بحبه، لا لم ينهرنى يوما، كانت لديه مميزات كثيرة، لكنه لم يكن يخبرنى صراحة إنه يهتم، هل أبى كان مثل زوجى، هل كانت أمى تبكى بسبب اعتقاد خاطئ أن والدى يستغلها، أخبرنى أنت ما هى الحقيقة، أنا احكى لك عن حياتى، هل بنيت أحكاما على والدى وزوجى؟ هل تعاطفت معى أنا وأمى؟ لا تصدر أحكاما أصمت قليلا ولا تقاطعنى وأنا أحكى، لست مجنونة يا نادر ولا تنعتنى بهذه الصفة مرة أخرى، أنا مشوشة هل رحيلى عن زوجى كان خاطئا؟ نعم أنا تركته، أنا رفضت أن أكون صورة من أمى، ولكنى لم أسألها يوما لماذا كانت تبكى، مرة أخرى أنا لست مجنونة، أنا أعلم لماذا أنا هنا هل تعلم أنت!؟ أنا لا أمتلك قلبا فارغا مثل هذا أو بروازك الفارغ ليذكرك إنك هارب من واقعك أو تلك الفتاة

التى تخاف أن تكشف عن ملامحها، أنا أفضل منك ربما عشوائية لكنى لست مجنونة، هل أصنع لك كوبا من الشاى بالحليب كهذا الذى صنعته لك فى المرة السابقة؟

***

تنظر شدا إلى دُنيا.

-هو احنا فين؟

يحاول نادر استيعاب الموقف منذ لحظات كان مع دُنيا والآن يعود إلى طاولة العشاء، نظرت إليه دُنيا وقبل أن تجيب على شدا:

-ماتقلقش عدى وقت كتير من ساعة الخناقة بيننا أنا روحت وجيت وأنت مكنتش موجود أو كنت مستخبى مش عارفة.

-بس أنا مش فاكر.

-استنى هارد على شدا.

نظرت إليها.

-احنا هنا لا طايلين سما ولا أرض، متشعلقين فى همومنا وبس وخايفين نرجع نواجهها، أنت هنا ليه؟

-أنا مش خايفة من حاجة خالص، أنا بس عايزة أطمن على أخويا.

نظرت إليها كريمة السيدة العجوز.

-لما أرجع هخلى الحاج يسأل عليه.

يضحك سعيد والأكل يخرج من فمه.

-والله يا حاجة أنا آسف يعنى موضوع الحاج أبو عاصم ده مضحك...

-أنا مش هسألك ايه اللى بيضحك بس بطل تضحك شوية عشان كتر الضحك بيأسى.

-أزاى الضحك يأسى الواحد؟ - قالها وهو مستمر فى الأكل -

-عشان فى لحظة من كتر الضحك هيكون نفسك تتوجع ومش هتقدر.

ينظر إليها مرزوق.

-أنا آسف يا حاجة إنى اتعصبت.

-خالص يا ابنى... أنا اللى شيلتك وجعى.

يستيقظ نادر وبجانبه أوراقا... يحاول أن يطرد حالة الغثيان وهو ينظر إلى الأوراق الملقاة جانبه ويحاول الاستماع إلى الأصوات التى تدور داخل رأسه وأصوات تلك الصفارات المتقطعة.

***

يفتح شادى عيناه بصعوبة لا يزال تأثير المخدر يسيطر على راسه، ينظر إلى والديه.

-شدا عاملة ايه.

ترد والدتهم:

-هى كويسة بس هتاخد وقت لحد ما تفوق..

-هى كويسة.

-آه كويسة الحمد لله.

***

أشعر بالغثيان هذا هو حالى صباح كل يوم...

استيقظ فى تمام الحادية عشر صباحًا اعشق نور الشمس المتسلل من فتحة النافذة، أشعر بدفء مع دورن ذرات الأتربة، أعود إلى حضن جدتى وجلستى فى حجرها، كنت أستمتع بقصتها عن يوم زفافها، كانت صور زفافها محلاة بالأبيض والأسود فقط، أتذكر ذلك اليوم الذى كانت تحكى لى عن تحضيرات زفافها.

جلست جدتى أسفل النافذة وهى تضع أمامها سبرتاية لصناعة القهوة

وكانت دائما ما تصنع لى مشروبا معها فى معظم الأوقات كان شاى باللبن أو حلبة نظرت يومها إلى الصورة المعلقة لها مع جدى....

-ايه يا تيته اللى أنتو كنتوا لابسينه ده؟

-دى كانت أشيك حاجة يا واد عندنا... كان الفستان معمول بالأيد، كانت خياطة فى ميدان لاظوغلى اسمها مدام «طلبة» كانت كبيرة وبيقولوا وهى صغيرة كانت بتشتغل للإنجليز فى أفراحهم كانت كبيرة بس ايديها تتلف فى حرير.

-إنجليز ايه يا تيته بس؟

-آه والله يا ابنى... نزلنا جبنا قماش شيفون وجبير وقماش مخصوص للطرحة ما هو زمان كانت الطرحة كل ما هى عالية وطويلة كل ما كانت أشيك، كان فستان أخدوه بعدى عشر عرايس بس جدك مارضاش إنى ألبس واحد قديم وحلف لازم يفصلى الجديد.

-هو جدو الصراحة برده شكله...

-ماله شكله، شنبه كان منور وشه وشعره كان عامله سيشوار عند حلاق فى شارع بورسعيد.

-كان بيحلق برده للإنجليز؟

نظرت إلى الصورة وعيناها تدمع.

-والله وحشتنى ربنا يجمعنا فى الجنة.

-أنتِ كنتى بتحبى جدو؟

-مكنش حب وبس ... كانت عشرة عمر.

-يعنى ايه عشرة دى يا تيته؟

نظرت إليه.

-العِشرة يا ابنى هى كل تفصيلة بتعدى بين اتنين وقدروا يستوعبوا الاختلاف بينهم، العِشرة هى كل سنة بتمر وأنت بتجدد جزء من شخصيتك عشان يستوعب شخصية شريكك، هى طبطبة من بعد خناق، هى السند هى المخدة اللى تمسكها وتقعد تضرب وتضرب فيها وأنت مخنوق وتحضنها أول ماتيجى تنام، العِشرة هى كل حاجة وحشة وعدت بين اتنين بصورة حلوة.

كنت أنظر إلى وجهها وأنا لا أستوعب نصف الكلام إلا أننى سألتها:

-يعنى بابا كده ايه؟

-أبوك يا ابنى مختلف مش كلنا زى بعض.

-يعنى هو وحش هو وماما؟

-مش عارفة يا ابنى بس أمك طيبة قوى وأبوك.. أبوك هيفضل أبوك.

تذكرت هذا الحوار طوال الفترة التى قضيتها تحت الماء الساخن، هذا اليوم قررت أن أزيل تلك الزوائد فى شعرى ولحيتى، كانت المرة الأولى التى اشعر فيها بمرور ماكينة الحلاقة الكهربائية وهى تلامس شعيراتى، أشعر بدفء البخار على وجهى، أخذت نفسا عميقا وأنا أزيل هذا الحمل من فوق رأسى، لم أنظر إلى المرآة منذ فترة طويلة لم استطع أنا أشاهد وجهى فالبخار قد حجب الرؤية، تذكرت الآن انى تركت الماء يغلى من أجل مشروبى الصباحى، أشربه وأنا انظر إلى تلك اللوحة المعلقة بالكاد بدأت أتذكرها، كنت أحبها لكن لو كنت أحبها أين ملامحها؟ أين هى!؟ كيف كان صوتها لا أتذكر لكن قلبى؟ قلبى!!! ألم أنسى تلك المشاعر، أتذكر أنفاسى المتلاحقة عندما رأيتها والابتسامة التى ترتسم على وجهى، أتذكر أن نطق اسمها فقط كان يشعرنى بسعادة بالغة، كان هناك دفء يسير فى أوردتى عند ملامستها، لم تكن الأجمل ولكنها كانت الأروع، قشعريرة فى جسدى تثير شعيرات يدى الآن رغم أننى لا أتذكرها، انتهيت من مشروبى الساخن وأنا أقف أمامها فى ذهول من تلك الابتسامة التى على وجهى، من أنت يا صاحبة الصورة الضبابية، مشتلى الصغير لقد غبت عنه منذ فترة، وضعت الكوب وفتحت الباب فى هدوء لم يكن هناك أحد جميع الأبواب مغلقة، سكينة لم اعتدها فى الأوقات السابقة، لا زالت الشجيرات الخضراء فى مكانها لم تذبل محافَظَة على شكلها، هناك رائحة ذكية تخرج من الأحواض بحذر اقتربت وأنا أجد

زهرات الياسمين أنا على يقين أنى لم أزرعها، ربما هى أين اختفت؟ وأين اختفى الجميع!؟ لا يهم أنا عدت إلى سعادتى إلا من تلك الأصوات التى تتردد فى راسى بين فترة وأخرى (هو مفيش أمل... عايزة بطانية يا ماما الجو برد... عايز تتغدى) أطرافى تتحرك وحدها أشعر بأن هناك من يلمس قدماى، يكفى ما دار فى الفترة السابقة.

-كنت بتحبها؟

رعشت فى جسدى من الصدمة وأنا التفت إليها.

-خضتينى!

-أنا آسفة.

-مين دى.. اللى بحبها؟

-البنت اللى فى الصورة ما هو أنا قاعدة أتفرج عليك قلت أسيبك يوم تستمع بالهدوء.

-هو باقى الناس فين؟

-موجودين... بس أنت عايز تبقى لوحدك فأنت كنت لوحدك.

-أنتِ شكلك حبتينى!

-أنا؟

-أصل حسيتك غيرتى عشان كنت بابص على الصورة.

-لا أنا سالتك بتحبها ولا لأ... ده معناه انى باغير؟

-أصل أنا بعمل حاجات كثير من الصبح وأنتِ ماسألتيش عن حاجة غير الصورة.

ابتسمت وهى تضع رأسها داخل حوض الياسمين وتأخذ نفسا.

-أنا مش هاحب بسهولة... خلى بالك أنت بس من نفسك.

-ما هو أنا لو بحبها أكيد مش هاحبك.

-ليه أكيد.. مش الرجالة ممكن تحب أكثر من واحدة؟

-أنا ماجربتش.. الصراحة.

-يا راجل ده أنتم مأساة....

-أنتِ بتجمعى كل الرجالة فى جملة واحدة ليه؟

وقفت على أطراف أصابعها وهى تنظر من السور ثم عادت تنظر إليه.

-عمرك شفت شوية رجالة قاعدة وفجأه تدخل واحدة بنت عليهم؟

-يعنى ايه؟

-قصدى شفت وشهم لما بنت تدخل عليهم؟

-لا... ما باخدش بالى.

-ولا من نفسك.

-أنتِ عايزة ايه؟

-يا نادر لما واحدة بنت بتدخل على شوية رجالة كلها بيقلبوا كيوت جدًا، كله مرة واحدة بيكون شهم وصوته عميق وكله فارد صدره ومعتبر إن بنظرة واحدة منه البنت هتدوب فيه.

-يا سلام؟

-نادر... ماتعملش فيها ملاك.

-لا بس أنا واضح أنى لو كنت بحب البنت اللى أنا مش فاكرها دى أكيد ماكنتش هابقى كده... أنا مش فاكر الصراحة.

-لا احنا لازم نشوف حل فى موضوع الذاكرة ده.

يقف نادر بجانبها على السور وهو ينظر إلى الفراغ.

-طب ولو فى شوية ستات دخل عليهم راجل؟

-هههههههه.

-بتضحكى ليه؟

-أصل البنات بيبقوا عايزينه يمشى فى أسرع وقت عشان يرجعوا براحتهم.

يضحك نادر وهو يعود إلى الغرفة.

-تعالى ندخل الأوضة ريحة الياسمين صعبة عليا.

-يعنى هى ريحة الشاى باللبن حلوة؟

جلس نادر على الكرسى الهزاز وهو ينظر إلى الأوراق.

-هو أنا بجد كتبت رواية؟

-أنت بدأت تصدقنى!

-مش عارف... هو أنت من المستقبل؟

تضحك دنيا.

-أنت بدأت تتجنن عشان كده بدأت تصدقنى غالبا.

-مش عارف والله.

-هنا يا نادر مفيش وقت مفيش .. احنا هنا دلوقتى مع بعض ممكن أكون قبلك أو أنت قبلى فى وقت تانى.

-ايه فى حياة أخرى؟

-يوووه.. أنت هتقضيها تريقة!؟

-لا... خلاص احنا مش هنكمل.

-نكمل ايه؟

-هو أنت مش جيتى هنا عشان تحكيلى.. أنت نسيتى؟

-والله نسيت.

-يبقى بدأتى تحبينى. « قالها وهو يضحك»

-أنا مش بحب حد الناس هم اللى بيحبونى.

***

تضع شدا يدها فوق جبينها، يبدو أنها تشعر بصداع يعتصر رأسها، فتحت عيناها بصعوبة والتفتت لتجد شادى على سرير آخر جانبها.

-شادى أنت عامل ايه؟

-أخيرا فوقتى... أنا اتخضيت.

-هو أنا بقالى قد ايه نايمة؟

-بقالك يوم كامل ٢٤ ساعة مفوقتيش ولا فتحتى عنيكى.

-غالبا كنت عايزة أنام.

-أنتِ كويسة؟

نظرت شدا إلى شادى.

-أنت باين عليك تعبان.

-آه ما احنا عاملين عملية كبيرة.. أنتِ كويسة؟

-آه.. بس مصدعة شوية... هى ماما فين؟

يرفع شادى يده بصعوبة وهو يشير إلى كرسى خارج الغرفة يراه من نافذة زجاجية.

-نايمة هناك... حلمتى بالبحيرة والاسكوتر؟

-لا... أنا كنت خايفة قوى.

-ليه؟

-الموضوع جه فى دماغى تانى.

-شدا.. أنت ماسمحتيش إنى أعيش تعبان وادتينى حتة منك.

-شادى بلاش هبل احنا الاثنين واحد...أنا معنديش تفسير لده بس أنا وأنت بنحس بكل حاجة مع بعض احنا بنكمل بعض كونك تعبان وأنا ساعدتك ده مش جميل ده جزء منك.

-عشان كده مش هسيبك للهبل بتاعك.

-شادى أنا مخنوقة ومحدش حاسس بده... أنا خايفة من الموت قوى.

-مش هسيبك تموتى.

-صدقنى أنا عارفه أنى قريب قوى همشى... أنا مش حاسة إن ده جسمى.

أكمل هامسا..

-يا شدا المخ لما بيكون عليه ضغوط كثير بيدور على حاجة يفكر فيها تكون صادمة عشان يشتت المخ من الضغط ده.

-بس أنا مش مضغوطة يا شادى.. أنا كنت فى مكان تانى خالص .

يصمت شادى فى لحظة دخول الطبيب ومعه ممرضة يطمئنان عليهما ويخرجان، يتحدث الطبيب مع الأم التى تضع يدها على صدرها وتردد الحمد لله، تعود الممرضة لتضع لهم محاليلا تضم

بعض المسكنات ليغفو كلاهما مرة أخرى.

تمسك شدا يد الممرضة وتجذبها.

-ممكن أسألك سؤال؟

-آه طبعا.. أنت كويسة.

-هو فى هنا فى المستشفى واحدة ست عجوزة اسمها كريمة.

-لا مش عارفة.. اسمها بالكامل ايه وأنا أسألك.

-معرفش.. بس هى سمراء شوية وجوزها قاعد جنبها على طول وابنهم اسمه عاصم.

-مش فاكرة حد بالمواصفات دى.

-طب ممكن تبقى تسألى لو فى حد بالمواصفات دى موجودة.

مرت ساعات وشدا فى نومها وما إن استيقظت حتى وجدت الممرضة جانبها تنظر إليها بخوف، بهمس مالت عليها:

-أنا سألت، أنتِ كنتى تعرفيها.

بوهن شديد:

-لا... مش عارفة يمكن كنت بحلم... هو مفيش حد هنا دلوقتى؟

-لا كان فى.

-عايز أشوفها ينفع.

-مش هينفع أصلها كانت هنا من يمكن خمس سنين وماتت.

يسير المسكن فى أوردتها وتغفو شدا مرة أخرى.

***

تعود السيدة كريمة وفى يدها كعكة كبيرة عليها قطع من الفاكهة وهى تنظر إلى مرزوق.

-أنت كنت مسافر ليه؟

-كنت عايز أعيشهم كويس.. أصل احنا غلابة قوى يادوبك الرزق على قد اليوم بيومه، ماحدش من البنات اشتكى بس مراتى كانت بتشجعنى عشان نشوف سكة نجيب منها فلوس بس مش ذنبها أنا اللى وافقت إننا نهرب.

تضع كريمة الطبق أمامهم.

-وأنت مارضتش ليه يا ابنى؟

-كنت راضى ... بس الفقر والزن على الودان... أنا مش عارف ليه ربنا بيعمل كده فى الواحد رزق مفيش والصحة فى النازل والعيال

كمان... الدنيا كانت تعبانى قوى مع إنى كنت راضى.

تنظر كريمة إليه.

-تعرف يا مرزوق إن الدنيا مش دار عدل ولا دار بيتقسم فيها بالتساوى ولا رزقك متقسم بين صحة وستر. الدنيا دار ابتلاء، كان لازم تستحمل، كان لازم.

يأخذ سعيد قطعة من الكعكة وهو يضحك بسخرية على حوارهم.

-أنا آسف يا حاجة بس لو كده.. يبقى ربك ظالم.

تنظر كريمة بحده إليه.

-لا مش ظالم... وربى وربك واحد وعادل.

-طب ماتزعلش منى أنا آسف... بس هو فين العدل؟

-الدنيا دار شقا يا ابنى.. تخلف عيال وتفارقهم أو يفارقوك تبقى غنى وبعدها تفلس مفيش سعادة دايمة ولا حزن دايم، الأيام بتجرى ورا بعض أنت فاكر من سنتين زعلت كام مرة وحزنت كام مرة.

-حزن وسعادة ايه يا حاجة... ليه فى ناس فقيرة ومريضة وحياتها سودا وتلاقى شيخ جايلهم يقولوهم اصبروا... يصبروا ليه وعشان ايه؟

-مش يمكن يكون لهم الجنة؟

-ومين قالك أساسا إن فى جنة؟

-ومين قالك يا ابنى إنه مفيش؟

-يبقى احنا متفقين محدش عنده دليل.

-هو فى دلائل بس خلينى أقولك لو طلع مفيش حساب وجنة ونار بالنسبة ليه عادى إنما لو طلع فيه حساب بالنسبة ليك مش هيبقى عادى.

-يا ست أم عاصم أنا راجل هلاس ومبسوط.

-أنت مش مبسوط... أنت من كتر كسرتك عامل فيها مبسوط.

-أنا مش مكسور أنا عايز آكل من الكعكة دى.

***

بدأ شعور الغثيان يقل عن ذى قبل، يستيقظ نادر اليوم وعلى وجهه ابتسامة لم يشهدها منذ زمن طويل ترك النافذة مغلقة فى طريقة إلى حمامه الساخن ورغم قصر المسافة إلا إنه أخذ دورتين كتلك التى كانت ترقص دنيا، نظر إلى صاحبة الوجه الضبابى وألقى لها قبلة فى الهواء.. يبدو أنها لم تعد تثير فيه حيرة، قبل أن يبدأ نظر إلى وجهه

فى المرآة وفى لحظة قرر أن يزيل الشعر الذى يغطى وجهه.. ظل لفترة وهو يحاول أن يجتث كل الشعيرات حاول جاهدا أن يتذكر ملامحه لم يتردد وهو يحدث نفسه «طب ما أنت زى القمر أهو أنت هربت ليه من الناس» وقف نادر تحت الماء الدافئ وأغمض عينيه واستمتع بملامسة الماء لبشرته.

يحدث نادر نفسه « ما هذا ألم أحلق ذقنى مرتين من قبل؟ هل هى هلاوس أخرى؟ نعم أنا أزلت شعرى من قبل وكل مرة أظن أنها المرة الأولى»

اخذ نفسا عميقا حتى كادت المياه أن تقتحم رئتيه، توقف للحظة وهو يحدق فى شكله فى المرآة، بدأت تعود له ذكريات، كانت هى.. تذكر، ارتدى ملابسه سريعا وخرج أمام مشتله، تذكر لماذا زرع تلك الشجيرات، أخرج كل عدته وبدأ فى تهذيب الأغصان أخذ ينهك نفسه فى تفاصيل، كان لا بد أن يهرب.....

هناك صوت أنين يتردد ليس فى رأسى، لا تستمع إلى شىء عليك أن تعود إلى نقطة البداية، أنا لا أريد العودة فلتنفصل مرة أخرى عن عالمك، لم اقوى من قبل أن أجاريهم كانت الحياة تستمتع بإذلالى، صورة خارجية رسمتها لنفسى حتى ظن الجميع أننى أعيش فى حياة مترفة، اللعنة على الأحكام التى يطلقونها عليك لمجرد أنهم رأوك مبتسما، الصوت يرتفع لا يمكن تجاهله، فى خطوات بطيئة اتبعت

مصدر الصوت حتى رأيت شدا تجلس فى غرفة مظلمة فى زاوية، رحل كل همى وأنا انظر إليها مشفقا على حالتها، اقتربت بهدوء....

-مالك يا شدا؟

انطوت أكثر فى الزاوية، حاول أن يخرجها من حالة الحزن، لم يلمسها أو يتحدث فقط جلس قليلا بجانبها وبعد لحظات.

-أنتِ ليه قاعدة فى الضلمة؟

أخذت فترة حتى أجابته وهو يضىء الغرفة بكشاف صغير وينظر إلى وجهها.

-أنا طول عمرى عايشة فى الضلمة، طول عمرى خايفة.. اسمك نادر صح؟

-أيوه صح.

-أنا هقولك يا نادر، أنت شكلك صغير مش كبير.

-احنا هنا كلنا فى نفس اللحظة مع بعض مفيش كبير وصغير، خايفة ليه؟

نظرت شدا بعين واهنة وميل بالعنق بالكاد تحافظ على توازن رأسها.

-أنت عمرك حسيت بالوحدة وأنت وسط الناس؟

-أنا مش باحس.. أنا سبت كل حياتى ومشاعرى وجسمى أنا هنا أنا وبس.

اعتدلت فى جلستها وضمت قدميها إلى صدرها.

-أقولك.. الوحدة دى كأنك محبوس جوا جسم حد تانى غيرك مش شايف الناس اللى هو شايفهم، مش قادر يستوعب الابتسامات اللى حواليه مش قادر يتحب.

يغمض عيناه وهو يردد فى صوت خافت «أنا كان مالى بكل ده» ثم يسألها:

-قصدك شخص مش قادر يحب.

-لا زى ما أنت سمعتها مش قادر يتحب... أنا أو الشخص اللى محبوسة جواه مش قادر يتحب، الضلمة هى الحل الوحيد للهروب من كل ما هو واقعى قدامك ونفسك يختفى، عايز الوقت يكون واقف ويكون ضلمة، الوحدة مش إنك لوحدك، الوحدة إنك محبوس لوحدك جوا شخص مش بتحبه، شخص بيشوف كل حاجة وحشة أو مش عايز يشوف أى حاجة حلوة، أنا جوايا شخصية تانية بتتحكم فيا، شخصية مش عايزة تحب أو تتحب.

-هو أنت مش بتحبى أخوكى؟

تنظر شدا بدهشة.

-أنا بحكيلك كل ده وبتسألنى بحب أخويا ولا لأ؟

-أصل اللى بيحب حد أعتقد مش بيكون وحيد.

-أخويا أنا بعشقه بس ايه العلاقة، أنا تعبانة وهو نفسه مش عارف يعملى ايه.. أنا اتبرعت له بحتة منى عشان أفضل جواه إنما أنا عارفة أخرى ايه.

-ازاى عرفتى؟

-أنا مش موجودة فى الحقيقة أنا مش عايشة غير مع أحلام مش بشوف غير الوجع بس باحس بالراحة فى الوحدة عشان كده أنا لازم أهرب.

-أنتِ ليه مش بترتاحى غير لوحدك.. أخوكى موجود.

-هو ده بالظبط... أنا مش لوحدى وعايزة أكون لوحدى... وقررت إنى اهرب.

-مفيش حد يقدر يقرر هيموت امتى.

-إلا لو هانتحر!

-ولا الانتحار... لو مش مكتوب إنك تموتى مش هيحصل.

-أول واحد أكلمه على الانتحار ويرد الرد ده.

-أصل أنا فكرت فى الانتحار مليون مرة قبل كده وبالمناسبة أنا برده حسيت بالوحدة بس لما....

أخذ نفسا عميقا من صدره وبكى بشدة يبدو إنه قد بدأ يتذكر، لم تسأله شدا عن شىء فقط وضعت رأسه على كتفها وتركته يبكى.

فتح نادر عيناه وهو فى غرفته ينظر إلى صورة صاحبة الملامح الضبابية وخلفه وقفت دنيا أمسكت يده برفق.

-ايه افتكرت؟

-أنا افتكرت كل حاجة لما شدا........

ينظر حوله وهو يتذكر إنه كان مع شدا.

-هى فين شدا؟

ضحكت دُنيا.

-يا ابنى هو أنت لسه مش واخد بالك...

-واخد بالى من ايه؟

-افتكرت ايه قولى؟

-أنا افتكرت صاحبة الصورة دى وافتكرت اسمها.

أصوات تتردد داخل رأسه « هاتوا الدكتور... عينيه مالها.... بسرعة الدكتور»

***

تتدفق الذكريات، الأشواق، مشاعر الحب المتوارية خلف حد منيع من النسيان، تقسو الساعات عليك وأنت وحيد تتذكر الابتسامة، تتذكر روحها التى استوطنت روحك، تتذكر فرحة عينيك فى لحظة الالتقاء بعينها، تتذكر العمر الذى تمنيت أن تعيشه معها، تتلصص على كل ذكرى معها وأنت دونها، دقائق غريبة تمر بساعات لا تمر كسنوات، الذكرى مؤلمة إحساس العجز فى عدم الوصول إليها، تمر الدقيقة الأولى تتذكر أول لقاء كانت طفلة خمرية مفعمة بالحيوية كانت تكفى تلك اللمسة الأولى نظرة خجلها الأولى شعورى الأول بالاحتواء شعورنا الأول معا، مرت سنوات أمامى هى كبرت نحتت ملامحها الأنثوية وكبرت مشاعر الغيرة، رجولة زادت مع كل لمسة من لمسات الأنوثة عليها، الدقيقة الثانية كبرياء جمالها وأنا أقف من أعلى نقطة أتحدى بجمالها الواقع، لا زالت الدقائق تمر ببطء ولا زلت أنظر إلى ضبابية اللوحة رويدا رويدا بدأت فى استعادة ملامحها، لونها الخمرى، عينيها، غمازات، طابع الحسن، أنفها كل شىء بدأ يتضح، افتقدها بشدة شعور العجز لا يزال يلازمنى كيف أعود

ولماذا؟ كانت الصدمة التى أتت من ضلعها الذى اعتقدت يوما أنه سيكون لك، الحمل الذى تركته تحت هذا الضلع، الحنان المفقود إلا من راحة يدها، شعرها المفرود على كتفى وهى تستند برأسها، قواى خارت منى عبر سنوات.

هل أذكر اسمها، دعونى قليلا لكى آخذ القرار.... مممممم... سأخبركم!

نادر

اسمها نور كانت.. لا لم تكن فقد كانت ولا زالت نور أضفى على حياتى متعة فى ظل الإخفاقات التى عاشتها الأسرة، نور كانت «بنت الجيران» لكنها كانت مختلفة منذ اللحظة الأولى لرؤيتها لم تفارقنى رائحتها أبدًا، كان لها عبق يشعل لهفة داخلى يكفى أن تصعد على السلالم قبلى بلحظات لأكتشف أنها كانت هنا، كانت رؤيتها حياة جديدة كل يوم، وكانت ابتسامتها نور، امتلكت فيها كل شىء لا تستطع هى إخفاؤه، شكلها، حضورها، رائحتها، شفتاها وهى تقاوم الابتسامة كلما رأتنى أمامها، بالتأكيد فى تلك الفترة لم أخبرها عن مدى الحنان الذى يسيطر على كلما رأيتُها، لم أخبرها قط أننى كنت انظر إلى السماء ليال طوال وأنا أصل بين النجوم لأرسم وجهها، نور كانت كل المشاعر التى افتقدتها من هذا الأب والتى لم تقوى والدتى أن تعطينى إياها وهى تركض من أجلنا، كانت بنت الجيران الأجمل، أتذكر أول مرة موجت فيها شعرها وتركته ينسدل على أطراف كتفيها ولمعة لون عينيها العسليتين أنارت خمرية بشرتها، لم أقوى يومها على إخفاء مشاعرى واستسلمت وأنا بين يديها وأخبرتها كم كانت جميلة وأخبرتها أننى أعشق عبقها، عطرها.. أعشق اللحظة التى تمر

فيها من أمامى، أخبرتها أننى أعشق كل شىء حولها، نعم استسلمت وأخبرتها بمشاعرى لكنى لم أستطع أن أعكر صفو حبى لها بان أخبرها كم أنا أحبها، أمسكت يدها وتركتنى وهى تنظر بذهول إلى كم التوسل الذى يخرج من عينى، لم تقاوم وإنما خرج لحن عذب من أحبال صوتها:

- أنت ماتعرفنيش**!**

لا لم أضحك أو أبتسم فقط لم تترك عينىّ لون عينيها ولو للحظة.

-أنا عارفك والله كويس جدًا.

رفعت كتفيها بتعجب لكنها لم تسحب يدها.

-عارفنى منين؟

-عارفك من الحكايات عارفك من كل مسافة وقفت فيها بعيد عنك عشان أشوفك، عارفك من كل قصة حب أنا قريتها أنتِ كنتِ فيها، عارفك عشان كل يوم كنت برسم وشك بين النجوم.

ابتسمت.

-ايه كلام الأفلام ده؟

كادت قواى أن تنهار لكنى تماسكت

- ما هو أنا عرفتك من كل فيلم.

سحبت يدها ثم رفعتها من جديد كأنها تلقى التحية.

-اسمى نور.

نعم كما تفكرون لقد كنت ضعيفا بين يديها، كان هذا اللقاء الرسمى الأول بيننا، التاريخ الذى دونته كبداية للحياة، كانت هى الحلقة المفقودة فى حياتى، مشاعرى، احتضنتنى، كنت استمع إليها وهى تشكرنى على المتعة المفقودة لسنوات، نور كانت كل شىء، لا نور كانت أشياء لا يكفى زبد البحر أن يخبركم عنها، يجب أن تعلموا أن هناك حب بهذه الصورة، لكن لا أحد يدرك مدى هذا الحب، يبدو أنها ظنت أننى أبالغ فقط ولكنى كنت أحبها.

***

وضعت دّنيا يدها على رأسى.

-أنت سخن كده ليه؟

-مش عارف.. يمكن عشان افتكرتها؟

-ولا عشان بدأت تفتكر؟

-من ساعة ما جيتى وأنا حالى اتشقلب... أنا كنت مرتاح.

-عمر الهروب ما كان راحة.

يقف سعيد عند طرف الباب وهو يصفق.

-الله على الدراما... أوفر جدا.

-هو أنت عارف احنا فين... ياللى بتتريق عمال على بطال؟

-أنا مش أهبل يا دنيا، كل اللى هنا هربانين كلهم.

-لا طبعا مش كلهم .. يعنى تيته كريمة هربانة من ايه؟

-تيته كريمة هههه.... هربانة من الناس اللى بتحبهم..غالبا بتعودهم على البعد... أنانية ومش عايزة تستمتع معاهم بآخر أيامها.

يعتدل نادر فى جلسته.

-سعيد هو أنت جبله فعلا؟

-لا.

-طب أنت جنس ملتك ايه؟

-بنى أدم.

-سعيد أنت مسلم ولا مسيحى ولا يهودى ولا بتعبد العجوة؟

-هو ليه كلكم بتسألوا السؤال ده ليه؟

-أصلك تايه يا سعيد... باين قوى إنك تايه وفكرة إنك عميق أو عايز تعمل عميق مش واكله معايا.

-وتاكل معاك ليه.. هتفرق معاك لو كنت بأعبد عجوة أو بأعبد ربنا؟

-أنت ايه يا ابنى ايه؟

-أنا اسمى سعيد.

يضحك نادر وهو يقول «أهلا سعيد».

-أنا جنس ملتى تعب، تعب من الروتين وتعب من الدوران فى نفس الدايرة المفتوحة اللى مالهاش حدود، أنا عايز أعيش تافه وابقى مبسوط، عايز لما أغلط محدش يقولى إنى كافر وبره الملة، عايز أقعد مع ستات وأنام معاهم كمان وعايز آكل كثير وعايز أضحك وعايز مبقاش مربوط، أنا عايز أفضل أجرى إلى ما لا نهاية، بس أنا خايف لأكون باجرى على جهنم أنا خايف أرفض وجود جهنم بس عايز أعمل كل اللى أنا عايزه، بس أنا باجرى وعايز آخد كل حاجة مع إنى مش قادر افتح عينى فى النور، أنا... أنا عايز أعيش مبسوط.

***

عدد من الأسرة يرقد فوقها مرضى كثر، مرزوق وحيدًا فى سرير فى آخر الغرفة، رأسه متورمة نتيجة اصطدامها بإحدى جنبات المركب بعد انقلابه، غيبوبة شبه كاملة إلا من كلمات يرددها، ينادى على ابنته الصغرى، اعتاد أن يلعب معها فى حقل خلف منزلهم الصغير، كان منزلهم بلا سقف عذبتهم الأمطار كثيرًا وقبل محاولة هربه مع أولاده وزوجته تبرع أحد الأشخاص فصار للبيت سقف، كانت المرة الأولى التى يشعر فيها بالأمان، كان مرزوق ميسور الحال، باعتبار إنه يكفى أسرته المكونة من خمس أفراد هو وزوجته وبناته الثلاث، لكن الحال لا يدوم لم يعد قادرًا على تحمل مشاق الحياة فقد عمله دون سبب، صار بلا عمل ثابت فقد عمله لكنه حافظ على روحه، اعتاد أن يلعب مع الصغيرة يحملها فوق كتفه ويجرى كانت تستمتع بالهواء الذى يطلق لشعرها العنان وهو يطير، ترفع يدها تلامس أفرع الشجر المتدلية، تمسك فى رأسه أو من شعره حتى لا تسقط ضحكاتها كانت تشبع روحه يتذكر كلماتها الأخيرة ويرددها رغم حالته الآن، يتذكر تلك اللحظة وهو ينادى على زوجته «امسكى البت كويس» لحظة الرعب وهى تصرخ «آباااااه» وهو عاجز عن الوصول إليها، تصرخ مره أخرى «الحقنى يا آبباااااه» يصرخ هو الآخر لا جدوى من صراخه، يتذكر الحلة وهو يضرب بقبضتيه الماء بقوة بحثًا عن حلم ضائع وسط أمواج بحر فى ليلة معتمة، يضرب كل شىء وصوتها يبتعد تدريجيا، يصرخ عليها يصرخ على زوجته، ابنته

الوسطى كانت عروس جميل أنثى منذ صغرها تهتم بشكلها ونظافتها رغم أنهم لا يمتلكون من المال الكثير إلا أن لباسها كان مهندما، ترتدى فى قدمها نعل لا تحب أن تتسخ قدماها كانت تستحم كل يوم، تصفف شعرها قبل أن يسقف منزلهم، كانت تحاول دائما أن تصنع دروة صغيرة فوق مكان نومها، مكانها كان مرتبا هادئا كملامحها، ذكية كانت تردد دائما أنها من المؤكد ستعوض والدها عن لحظات شقائه، فى اليوم المشؤم وقبل الحادث مالت على كتف والدها وقالت بصوت ضعيف «بلاش يابه... نرجع أنا خايفة» كان هو أكثر خوفا منها حاول أن يبدو متماسكًا إلا أنه كان يشعر بخوف المدفون حيًا فى قبر، لم يتذكر ماذا قالت إنما شعر بها فى لحظة وهى تحاول أن تجذبه من ثيابه يعلم يد ابنته الناعمة رغم قسوة الظروف لمست رقبته وهى تحاول أن تجذبه، كانت تريد أن تتمسك به، لا تريده أن يبتعد، الكبرى كانت البندول الذى يدق لينظم كل شىء، خطبت قبل سفرهم لرجل قتل غدرًا وهو عائد من عمله، صدمت توقف بندولها عن الحراك اختفت حمرة الوجنتين التى زينتها منذ أن كانت صغيرة، اشتاقت للموت، هل وصلت إليه الآن هل ارتاحت، لم توافق أو ترفض على فكرة الهروب كانت منساقه، ظنت يومها أنها نهاية الحياة، كان صوتها الأقوى والذى ظل يسمعه بعد غرقة «امسك كويس يابه.... امسك كويس.... أنا ماسكه أخواتى... أمى معاك»، اذا لقد رحلوا بين يد أختهم الكبرى هى قوية من المؤكد

أنها لم تفلتهم، رحلوا وهم فى حضنها، كان على أن أوفر لهم شيئا من الأموال كانت الحياة قاسية، ضيق ذات اليد جعلنى عاجزًا ولكنى لم اكن قد اختبرت العجز الحقيقى بعد.

***

يفتح الباب بهدوء، الغرفة مرتبة بعناية، ثلاث أَسِرَّة، ورابع كبير، يشير مرزوق إلى نادر.

-اتفضل يا نادر .. ولا اقولك يا أستاذ ما تاخذنيش.

-لا نادر.. تمام.

-محتاج حاجة؟

نظر إلى الغرفة بذهول... لا يمكن أن تكون مساحتها هكذا من الخارج هى أضيق بكثير.

-هى أزاى أوضتك واسعة كده؟

-أنا حابب تكون كده، فى مكان لكل حاجة.

-بس مش باين؟

-يا أستاذ نادر..

-نادر... قولى نادر.

-ميصحش حضرتك شكلك..

-ماله شكلى.. أنت قد أبويا اللى أنا ماشفتوش.

-هو ميت؟

-لا.. بس هو سابنا.

-ليه؟

-ظروف... هو أنت بتلم حاجاتك ليه؟

-أنا ماشى مش هقدر أقعد بعيد عن عيالى أكثر من كده.

-هترجع...

-لا خلاص مفيش رجوع؟

-أنت منين؟

-أنا من أسيوط.. عزبة ابو القاسم.. لو حابب تيجى تزورنى أسأل عليا عند مسجد الحظايظة.

-مسجد ايه؟

-الحظايظة.. مع إن بختنا مايل!

-ربنا يصلح الحال... أنا معطلك؟

-لا مش معطلنى كده كده أنا قربت أمشى أمتى مش عارف بس أكيد هامشى.

-أنت ايه اللى جابك هنا يا حج مرزوق.

حاول أن يهرب من الإجابة واستدار وهو يعيد ترتيب أشياء هى من الأساس مرتبة لكنه التفت وهو يبكى.

-تعرف يا أ. نادر الستات مخلوقين ليه؟

-عشان نتجوز و...

-لا.. لا مش ده قصدى.

-قصدك ايه؟

-اعذرنى يعنى لو اتكلمت بجهل بس ده اللى أنا حاسه.. أصل أنا مش متعلم بس البنات التلاتة كانوا بيتعلموا.

-لا ياحج حضرتك على رأسى.

-الستات موجودين عشان يعدلوا المايله، يعنى لما يلاقوك بتقع

يقفوا سندك، لم يلاقوك هتنخ تقوم زعاببهم عشان تفوق، لما يلاقوك شايفلك شوفة يسودوا عيشتك، الستات موجودين عشان يبقوا ضهر عود صلب واقف ورا الراجل مثبت رجله، الستات يا نادر موجودين عشان يبقوا الحضن اللى آخر اليوم ترجع ترمى نفسك فيه عشان ترتاح، الستات يا بيه مش نص المجتمع بس الستات هم المجتمع، عارف أنا لما جبت البنت الثالثة الناس كانت فاكره إنى هزعل بس والختمة الشريفة ما حصل، أنا يومها كان قلبى مسنود وواقف بقول ربنا ادانى اربع عواميد صلب اتسند عليهم، بس تعرف بقى على قد ده كله لو الست قررت ماتكونش سند الراجل بينخ ويقع، زى اللى حصلى كده.

يشير مرزوق إلى نادر بالجلوس ونادر يسأله:

-هو ايه اللى حصل؟

-أنا مراتى كانت سند، نخلة واقفة ومحاوطة على البيت، احنا لا مؤاخذة ماكنش عندنا سقف بس ياما شفتها مغطية العيال بصدرها، كانت سند ليا وسعادتى ومتربعة على قلبى، كانت تاكلها بدقة أو حتى تنام جعانة ماشفتش فى عينيها يوم اعتراض بس ولاد الحرام بقى.

يبدو على نادر الإنصات الشديد

-زنوا فى ودانها على موضوع إننا نهرب فى مركب، ستات سو شغالين

مع رجالة نصابة، زنوا ياما على ودانها، والزن سحر والله سحر، أوعى تكون مش مصدق ده متقال فى القرآن، سحروا لها وفى يوم وليلة السند بقى سهم مغروز فى ضهرك، ويوم مع يوم أنا ببقى أضعف، يوم عن يوم بتقرب لولاد الأبالسة أسلاف الشيطان دول وهى بتغز فى ضهرى، بعت كليتى بعت واحدة بخماستاشر ألف جنيه والله ما خدت منهم شلن هى خدتهم ودفعناهم للمركب.

يقف مرزوق فى وسط الغرفة وهو يصرخ بقوة:

امسكى يا بت فى أختك أمسكى العيال يا وليه.

-أنا عيالى ماتوا وأنا مش عارف أنا قاعد ليه، أنا.. أنا فى صوت فى رأسى صوت جامد قوى.

-مالك يا حج مرزوق مالك؟

اسمع معايا كده.

« تاريخ الوفاة السابع عشر من يناير «

***

أشعر بالغثيان هذ هو حالى كل صباح، لا أتذكر متى أغفو أنا فقط أستيقظ، لماذا أشعر بثقل فى صدرى.

يعود نادر إلى ممارسة طقوسه اليومية، «يشنكل» شيش النافذة يقف قليلا وهو يتأمل حبيبات الأتربة المنيرة على طول خط شعاع يتسلسل من النافذة يضع يده بينهم ويحركها يستثير الأتربة أكثر تدور أسرع يبتسم، يخلع كامل ملابسه يضع رأسه تحت الماء الساخن يغلق عينيه وينظر إلى أعلى، تصطدم قطرات الماء بوجهه تشعره بنشوة يفتح فمه يدخل الماء لا يبتلعه ويتركه ينهمر على وجناته، يسمع صوت فوران الماء يخرج سريعًا يضع معلقتين من الشاى ويترك الماء يغلى لدقائق ويصب فوقهم اللبن وثلاث ملاعق سكر ترك الخليط على النار لدقائق ثم وضعه فى كوب، وقف أمام مشتله الصغير ونظر أمامه، نظر إلى الكوب الفارغ وإلى الغرف المحيطة، تضع دنيا يدها على كتفه يبتسم وهو يميل برأسه على يدها.

-أنا مبقتش أستغرب أنت بتيجى أمتى أو بتمشى امتى؟

-ايدى يا أستاذ.

يرفع نادر رأسه ويلتفت إليها.

-فين الفستان اللى كنتى لابساه؟

-لا ما هو مش كل شوية... وصلت لحد فين.

-فى ايه؟

-فى الرواية اللى أنت لسه هتكتبها عنى.

-أنا غلطان من اليوم الأول اللى.....

-نادر أنت بقالك قد ايه هنا!!!

-كثير.

أشارت بيدها نافية.

-مستحيل تكون كثير... أنت لسه جاى هنا.

-أنا حاسس إن بقالى عمر.

-الإنسان ممكن يتعود على أى مكان جديد فى أقل من يوم.. وكمان ممكن ينسى القديم... بالمناسبة أنت اللى كتبت الكلام ده مش أنا.

-دنيا... هو أنت حقيقة؟

-لا كارتون.

يصطنع الضحك وهو ينظر إليها بسخافة.

-طب سؤال بجد من غير ما أقصد بيه حاجة..

-قول.. أكيد مش هتقول أكثر من اللى أنت قلته عنى.

-أنتِ لسه متجوزة؟

-لا يا نادر.. أنا اطلقت.

-جوزك طيب كان كويس ولا كان وحش؟

-السؤال ده أنت أبقى رد عليه... وعلى فكرة كل الاحتمالات وارده اللى من ضمنها إن احنا الاثنين وحشين

-بس أنا مش شايفك وحشة!

تدخل الغرفة وتجلس على الكرسى أمام اللوحة.

-أنت أساسا ما شفتنيش عشان تحكم، أحكم عليا لما تشوفنى قدامك وأنت مكسور ومن رد فعلى هتعرفنى، أحكم عليا لما أكون ضعيفة وباستنجد بقشاية، أحكم عليا لما تعيش معايا لحظات وجع مش لحظات فرح، احكم عليا لما تغلط وتشوف رد فعلى ايه، احكم عليا لما تشوفنى بعد سنين حِمل وأنا قد الحِمل ده ولا لأ، احكم عليا لما تعرف كل تفصيلة أنا عشتها، احكم عليا لما أكون فى ضهرك ممكن أكون سنداك أو بشدك عشان تقع، أنت ماشفتنيش يا نادر.

-ايه أنا اللى كاتب الكلام ده كمان؟

-لا ده كلامى واللى أنت هتكتبه.... نادر أنت متعرفنيش ماتحكمش عليا.

-مش ممكن تكونى السبب فى إنى أرجع تانى للحياة؟

وقفت دنيا وهى تنظر بحدة.

-بص حتى لو أنا هاكون السبب إنك ترجع إياك أنت تكون السبب فى إنى أرجع إياك.

صوت طرقات على الباب ثم تدخل شدا.

-أنا سمعتك وأنت بتقول هترجع.. ممكن طلب؟

التفت نادر إلى شدا.

-شدا. أنتِ كويسة؟

-آه أنا تمام.

احتضنتها دنيا وسألتها:

-هو أنتِ حزينة ليه؟

-أصل أنا هسيب أخويا.

-هى مش العملية نجحت؟

-عملية ايه... العملية نجحت من عشر سنين فاتوا!

تفحص نادر فى ملامح شدا وجد أنها لم تعد صغيرة كما كانت، على مضض تفحص جسدها وقد صار له ملامح.

-شدا أنتِ كنتى...

-مش مهم كنت ايه.. المهم حضرتك لما ترجع هتروح لشادى أخويا وتبلغه إنه مكنش فى ايده حاجة يعملها بسبب اللى أنا كنت فيه.

-شدا أنتِ مشفتيش اللى كثير شافوه.

-مش دنيا لسه قايلالك متحكمش على حد؟

-مش باحكم.. أنت زعلانة ليه طيب؟

-أهى ده الحاجة الوحيدة اللى معرفتهاش من وأنا صغيرة، أحلامى دايما أكبر من الحقيقة، باحلم طول عمرى ببحيرة قدام بيت واسع وبحلم انى سايقة موتوسيكل بسرعة أكبر من اللى ممكن يمشى بيها، باحلم إنى دايما باطير بس أخويا هو اللى كان مانعنى، هو ماقاليش ماتعمليش بس أنا فضلت عايشة الحياة العادية عشان ماسبهوش لوحده، هو كان تعبان ودلوقتى خف، أنا ضحيت من زمان.. على فكرة أنا المفروض كنت أمشى من زمان عشان أنا مش عارفة

أعيش زى البنات.

-شدا أنتِ هتنتحرى؟

ابتسامة حزن ارتسمت على وجهها ولم تجب.

-يعنى أنتِ دلوقتى..

-مش مهم دلوقتى أنا فين....

ينظر نادر إلى دنيا.

-أنا مش فاهم حاجة.. أنا ليه هنا طيب؟

لم تجبه دنيا ونظرت إلى شدا.

-يوصله ازاى؟

-أنا بلغت شادى إن فى حد اسمه نادر هيجيله فى يوم... شادى صحفى مشهور دلوقتى اسمه شادى الدرينى... هتعرف توصله.

-أنتِ عايزة نادر يقوله ايه؟

نظرت إلى نادر.

-قول له... إنه مكانش ينفع أفضل طول عمرى محبوسه جواه، مكانش ينفع أفضل كل عمرى خايفة يتوجع عشان أنا بتوجع قد

وجعه عشر مرات، ربنا خلقنا كده، احنا روح واحده فعليا بس اتركب لها جسمين ومشاعر مختلفة ونفسيتين عكس بعض، قول له إن فى حتة من جسمى جواه فأنا هفضل دايما معاه بس قوله إنى مبقتش قادره على إنى أضحى أكثر من كده، روحى هتفضل معاه إنما الباقى مش بتاعه ولا بتاعى وأنا مش قادرة على الحمل مش قادره على نفسى ولا جسمى ولا مشاعرى ولا قادرة أفضل فى ضهره ومش عايزة أكون نقطة ضعف له، قول له إنى مشيت ومستنياه بس مش دلوقتى خالص وقوله لو خلف بنت ما يسميهاش شدا، يسميها أى حاجة غيرى لازم تكون غيرى.

***

حلقة جاف تمامًا، يفتح عيناه وهو يحاول ضم يداه، يتحسس أطرافه لا يرى بوضوح، يغمض عيناه قليلا ويفتحها مرة أخرى يتحول النهار إلى ليل يختفى ضوء الشمس وتظهر عند طرف الباب وهى ترتدى فستانا ورديا يخفى تفاصيل جسدها ويبرز ملامح أنوثتها، لا لم ينظر إليها بشهوة إنما تلك النظرة التى بُنى الكون عليها، نظرة الرجل ليخبر أنثاه كم هى رائعة، نظر إليها وهو فى كامل حلته، اقترب منها بحذر، اقتربت هى دونه التقت أنفاسهما، ضحكت.

-أعملك شاى بلبن؟

ضحك هو الآخر.

-لا مفيش ده تانى.... أنتِ جميلة قوى النهارده.

-أنا خلاص أنا كمان ماشية.

-رايحة فين... لا ماتمشيش أنا هجيلك فى أى حتة.

-نادر احنا متفقين إنك ماتحبنيش.

-مش بحبك، بس وجودك مريح قوى وجودك محسسنى بانى ممكن يكون ليا مكان.

وضعت يدها على كتفه.

-ترقص معايا؟

-دلوقتى وهنا؟

-مفيش وقت تانى بقولك ماشية.

-قصدك راجعة.. هارجع معاكى.

-لا مش راجعة أنا ماشية.

-طب خليكى هنا.

-لا هامشى وأنت لما تيجى تكتب عنى، قولهم إن دنيا كانت مجنونة وعشوائية بس طيبة وعاقلة، قولهم إنى مسامحة كل الناس، قولهم عادى هى كانت صادقة وكدابة وملعونة والبركة بتحل على أى مكان تروحه، قولهم إنى مكنتش عايزة حاجة من حد ولا كنت عايزة حد يجرى ورايا، قولهم انى كنت موجودة بينهم وهم سابونى أضيع، قولهم والنبى انى مش وحشة، قول لسعيد إنه محدش بيجرى ورا السعادة فى صفايح الزبالة، ارقص معايا.

وضع يده على خصرها وجذبها لكنها تركت مسافة.

-نادر اكتب عنى أنا عارفة إن جواك كلام أكتر بكتير قوى من اللى ممكن أقوله، مش عارفه ممكن نتقابل تانى ولا لا، مش عارفة ممكن ربنا يغفر ليا ولا لا، هتوحشنى قوى وابقى ادعيلى كتير، ارقص معايا احضنى أنا خايفة، نادر أنا خايفة قوى.

نبضاتها ترتفع تتصب عرقًا، يضع نادر يده فوق رأسها يحاول أن يمسح تلك القطرات.

-دنيا خليكى معايا.

-نادر أنا مش عايزة أمشى أنا أضعف قوى من إنى أمشى، نادر خليك ماسك فيا جامد.

-أنا مش عارف أعمل ايه.

-أنا بموت.. أنا حاسة إنى بتسحب منك قوى، أنا مش قادرة نادر.

يتغير مشهد الغرفة يقف نادر فى وسط غرفة على السرير تنام دنيا ترفع يدها إليه لا يستطيع الوصول إليها، تجلس والدتها على الأرض تمسك يدها الأخرى، لا تملك إلا الدعاء تردد الأم «يا رب بنتى» تقف من على الأرض تجلس جانبها تحتضن رأسها «سامحينى يا بنتى» تنظر دنيا إلى نادر العاجز عن الحراك، يدخل طبيب أمامه مسرعًا، لا تقوى الأم على الوقوف ترتكز على كرسى فى الركن وهى تبكى بصوت مكتوم تضع يدها على فمها لا تريد أن تسمع دنيا بكائها هى لا زالت على قيد الحياة، يحاول أن يقترب تنظر إليه وتحرك شفتاها.

-أنا قلتلك ماتحبنيش!

تترد أصوات وهى بين أحضانه فى غرفته فوق السطح:

-حد يجيب دكتور.

-لا إله إلا الله... يا بنتى.. دنيا!

-خليكى معايا.

-الدكتور جاى يا طنط.

-أشهد أن لا إله إلا الله... يا دنيا فتحى عينك!

ينظر إلى عيناها تسقط يدها من فوق كتفه ويسمع صوتا

«لحظة الوفاة السابع عشر من يناير»

***

أشعر بالغثيان...

ما هذا الصوت هل هو حلم جديد، أغمض عيني قليلا ربما هو نتاج تلك الهواجس، أين دُنيا هل كانت هاجس بالتأكيد لا هناك شدا قد مرت من هنا ومرزوق أين الجدة كريمة، لا زال صوت الصراخ يعلو من الخارج، لا لن أتحرك اليوم أشعر بالإجهاد منذ أن رقصت معى دُنيا، أين دَنيا! هل رحلت هى أيضًا هل كانت لحظة موتها!!! هل ماتت؟ أين أنا لماذا أستيقظ فقط متى أغفو؟ ما هذا الصراخ، يدخل على سعيد مسرعًا.

-الحق يا نادر... المشتل بتاعك متكسر.

أخرج مسرعًا لا أعلم خوفًا على المشتل والذى لا أدرك لماذا قد بدأت فى زراعته أم لأن الفضول كان يقتلنى، أشعر بالخوف وأنا

أشاهد شتلاتى الصغيرة ملقاه على الأرض، أشعر بها وهى تموت، أنا خائف للغاية بل أنا مرتعب من فكرة الموت، أعود مسرعًا إلى الغرفة أنام فى وضعية الجنين، هى المرة الأولى التى يصارعنى فيها هذا الشعور، يرتعد جسدى بدأت فى حالة من التشنجات.

أنا أدرك كل التفاصيل التى تدور حولى لكنى أشاهد نفسى من مكان مختلف أنا أرى جسدى المتكور عند زاوية السرير، لوحة معلقة لنور أعلم من هى جيدًا تلك الفتاة التى أحببتها بكل جوارحى وهى لم تبادلنى قط هذا الشعور، برواز فارغ فقط لأدرك أننى أعيش حلم لم أستعيد وعي بعد، أنا للمرة الأولى أشاهد نفسى من الأعلى، بالتأكيد هذا أنا لدى حالة من الاستنكار، هذا حقًا شكلى الذى يراه الناس، جسدى ممتلئ قليلا من الأجناب، شعرى ليس بتلك الجودة التى أظنها، تلك العضلات التى كنت أظن أنها متناسقة تحتاج لتدريب بشكل أكبر، ما هذا أصابع قدمى ليست متناسقة على الإطلاق ويبدو أننى بدأت فى فقد جزء من شعر راسى، لست وسيمًا كما كنت أظن، ما هذا ليست فقط الأطراف الممتلئة، ما هذا**!!** اللعنة أرى سعيد يدخل مسرعًا وهو يجلس أمامى.

يعتدل نادر وهو ينظر إلى سعيد الذى يحدثه:

–فى ايه يا نادر مالك؟

لا زلت أشاهد المشهد من مكان مختلف، أشاهد نفسى وأنا أدير حوارا مع سعيد.

-سعيد أنا خايف.

يأخذنى سعيد بين أحضانه ويحاول أن يسيطر على انفعالاتى، قليلا من الماء ظل جانبى حتى هدأت.

-أعملك شاى بلبن يمكن تهدى.

-سعيد... أنت عندك كام سنة أنت هنا جنبى ليه... أنت مامشيتش زيهم ليه؟

-فى ايه يا نادر... فى حد يسأل شاب حليوة السؤال ده عيب.

-هو ايه اللى عيب؟

-عيب تسالنى...

-أنت مين؟

-سعيد... أنا سعيد صاحب عمرك.

-أنا معنديش صاحب عمر... سعيد أنت عارف أنى معندش أصحاب... أنت مين؟

لا زلت أشاهد المشهد من مكان مختلف لا زلت على السرير وأنا أحدث هذا الشخص المدعو سعيد لا أرى وجهه بوضوح لحظات ونظر سعيد إلى أعلى وابتسم كانت الصدمة .... سعيد هو أنا... أنا كنت أحدث نفسى وأشاهدها من مكان آخر.

نظر سعيد إلى نادر.

-أنت كل ده مش عارف أنا مين، أنا أنت يا نادر.

سعيد هو الشخصية التى تمنيت إخفائها طوال سنوات عمرى تلك الشخصية المتمردة الرافضة للقواعد، تلك الشخصية التى جعلتنى أرتكب من الحماقات ما ندمت عليه طوال عمرى، سعيد هو الشعور الرافض لكل ما هو فرض عليا.

-لا أنا مش زيك.

-أنا موجود جواك... أنت اللى خلقتنى.

-أنا مخلقتش حد.

-نادر... مش هينفع تضحك عليا أو تكدب مش هتعرف تخبى.

-أنا معنديش أفكار.

يقف سعيد الصورة المطابقة لنادر.

-لا عندك... أنت مش عايز تلتزم بالدين صح وعايز تعمل كل اللى نفسك فيه تحب أقولك حاجة أنت بس اللى تعرفها.

يعتدل نادر فى جلسته.

-أنت رافض فكرة ربنا ومقتنع تماما إنه ملوش وجود بس خايف ليكون موجود عشان شهواتك، حلمك إنك ترتبط بأى واحدة وقت ما تحب وتنام معاها وتتبسط وشوية لو ماكنتوش مبسوطين تسيبوا بعض، حلمك بالإله العجوة.

يتوقف سعيد وهو يضحك بقوة.

-بس تصدق العجوة حلوة مفيش كلام.

-عادى.. كل الناس بتفكر فى حاجات.

-بس مش كل الناس بتسأل هو أنا ليه راسى فى مخ ومين اللى وافق على إنى أحمل الأمانة واتحاسب، مش أنت بتسأل نفسك كده كل يوم ولا فى حد تانى؟

-أنت ماتعرفش حاجة عنى... وماتعرفش حاجة عن تفكيرى.

-بلاش دى... طب أنت مش حبيت نور وكنت مخليها تحبك... خليت دُنيا تحبك ليه؟

أصوات فى رأسه ترتفع:

« يا دكتور... يا دكتور... بيتشنج تانى جامد»

« حد يجيب الحقنة بسرعة»

« امسكى ايده كويس»

«نادر... ركز معايا»

«عينه بتستجيب للضوء»

***

تجلس الحفيدة «نور» على كرسى فى إحدى زوايا غرفة المستشفى تضع سماعات وردية فى أذنها وتمسك فى يدها جهاز كان قد أهداه لها عمها فى آخر زيارة له من الخارج، تستمع إلى البوم عمرو دياب الجديد «تملى معاك» تنظر إلى جدتها التى توقفت عن الحديث مع أشخاص لا وجود لهم، تغلق الجهاز وتتابع حديث جدها إلى جدتها الذى نظرت إليه وهو يتحدث:

ايه يا حاجة هتمشى خلاص... هو أنا أعرف أعمل حاجة من غيرك، يا ضحكة عمرى خلاص، ملعون أبو الزمن اللى يبعدنا عن بعض، مش بأيدى والله إنى مكنش معاكى، مش بأيدى إنى أسيبك لوحدك بس أنا عمرى مش بأيدى، عارفه لو كان بأيدى كنت اخترت أن

آخر نفس يخرج مننا احنا الاتنين فى نفس اللحظة، يا أم عاصم يا كريمة يا حبيبة قلبى يا أحلى ست فى الدنيا يا أهلى وناسى، مش عارف مين من بعدك هيفكرنى بالدواء أنا أساسا مش هاخد الدواء.

تضع يدها على يده دون أن تقاطعه.

ده أنت الوحيدة اللى بتبقى عارفه أنا محتاج ايه مين هيعملى القهوة ومين هيحط ايده على ضهرى الموجوع ماتخليكى يا حاجة معايا شوية، خليكى لحد ما أنا اللى أموت الأول، أنت طول عمرك الجامدة اللى باتسند عليها، رجلك دى اللى مامشيتش إلا عشان سعادتى، يا كريمة استنى شوية، البنت بنت عاصم شبهك قوى أول مرة شفتك فيها.

يدخل عاصم فى تلك اللحظة وهو يشير إلى نور بالخروج، يقف عند رأس والدته يبكى ويغلق عيناها ينظر إليه والده.

-سيبنى لوحدى معاها.

-بابا.. تعالى معايا.

-أطلع بره...

-بابا.. ماما خل...

يقاطعه: -اطلع بره.

يقف عاصم خارج الغرفة قليلا ويعود يضع يده على كتف والده.

-مش يالا يا بابا عشان... بابا.... بابا.

يصرخ عاصم: « إن لله ما أعطى وإن له ما أخذ»... «لا حول ولا قوة إلا بالله»

تدخل نور مسرعة وهى تنظر إلى والدها بذهول فقد فقد والده ووالدته فى نفس اللحظة.

« لحظة الوفاة السابع عشر من يناير»

***

ضبابية فى المشهد حولى، ضوء مُركز يضرب فى حلق عينى لكنه لا يؤثر بشكل كبير، حلقى جاف ما هذا الأنبوب الخارج من فمى، لماذا لا أستطيع الحراك! أين أنا، ما هذه الرائحة، صوت يتردد بقوة:

-نادر لو كنت سامعنى بص على الناحية الشمال.

نعم أسمعك لكنى عاجز عن الرد، مستسلمًا أحرك عينى ناحية اليمن، يعود الصوت مرة أخرى:

-بص ناحية اليمين.

يضغط بشىء حاد ناحية أذنى اليمنى، أنظر إلى تلك الجهة، استعيد وعيي تدريجيًا، يردد هذا الشخص مرة أخرى:

-تعرف تبص على مامتك؟

تتحرك مقلتى بهدوء وأنا أتابع وجوه ضبابية أنا لا أعلم كيف تبدو والدتى جيدًا، تتوقف عيناى أمامها، أسمع صوتها:

-ألف حمد وشكر لك يا رب.

ينظر إليها هذا الرجل الواقف جانبى.

-استجابة كويسة جدًا.. فى تقدم وواضح إنه عايز يقاوم.. نحمد ربنا جدا إنه ما طولش عشان كان ممكن وظايف فى جسمه تتوقف.

-هو هيرجع كويس يا دكتور؟

-مفيش حاجة مؤكدة.. بس خلينا نحمد ربنا لحد كده.

هى الحقيقة الغائبة، من أين أتيت؟ وأين أنا الآن؟ رحلة عناء منذ طفولتى، لماذا لم أحظى بحب يستمر!؟ ما هذا الوهن الذى احتل أوصالى؟ أنا لا أقوى أن أتحكم فى أى من أطراف جسدى، حزن يطغى على كل لحظة سعادة تمنيت يوما أن أعيشها، لماذا الجميع يقف واجمًا أمامى، أين نور لماذا لا أراها؟ نفسى تقاوم مشاعرى، جسدى يقاوم ضعفه لا يريد أن يموت، إنسانيتى تسيطر على المشهد، لا لن

ارحل الآن على العودة، على أن أنهى حياتى بصورة أفضل لن أترك بواقى منى وحيدة، اللعنة على تلك الدنيا التى لم أشاهد فيها خيرًا، أين كنت طوال تلك المدة؟ أنا لا أتذكر كيف أتيت إلى هنا، مرارة فى حلقى أريد أن أشرب لا أستطيع الحديث، لماذا أنا صامتً هكذا، المكوث هنا مستحيل بعد الآن، الكل هنا يأتى ويرحل قليلا منهم يقف أمامى للحظات لا أعلم لماذا؟ هل يتشفى أحد منى وهو يرانى عاجزًا؟ هل حان الوقت للمواجهة؟ لا زلت اشعر بهذا الغثيان أصوات تتردد داخل راسى تعلو رويدا رويدا، من هؤلاء؟ وأين نور؟ أين دُنيا؟ أين أنا؟ لماذا لا أستطيع التحدث؟ أدرك كل ما هو حولى لكن ببطء أنا أشاهد فيلمًا سينمائيًا يدور ببطء شديد، لماذا تضحك والدتى؟ أنا هنا بلا حراك، أنا افتقد كل شىء هنا، يتحرك الجميع عندما أحرك إصبعا أو أنظر فى اتجاه مغاير، لم يتحرك أحد سابقًا عندما شُلت مشاعرى، عندما أصبت بالاكتئاب عندما جلست وحيدًا وأنا لا ادرى كيف أكفر عن ذنوبي... ذنوبي... أين دُنيا؟

مع الوقت يقل عدد الأسلاك المتصلة بجسدى مع الوقت أستعيد وعيي تتحرك أصابعى، بدأت أشعر بأطرافى لماذا فى كل مرة يزورنى هذا الطبيب يضغط عليهم بقوة؟ ما هذا الغثيان المصاحب ليقظتى؟ يمر وقت لا أستطع أن أحصيه وأنا أشاهد الجميع يبتسم فى وجهى، يمر الوقت وأنا أستعيد فى كل لحظة قدرة كانت من أساسيات حياتى، لم أتحدث إلى الآن أسمع هذا الطبيب وهو يطمئن أمى فى كل مرة «

ماتخافيش يا فندم هيتكلم.. الاستجابة مدهشة»

***

يجلس نادر مستندًا مستعينًا ببعض الوسائد، تجلس والدته أمامه.

-ألف حمد الله على سلامتك يا ابنى... كنت هموت عليك.

-ماما هو أنا بقالى قد ايه؟

-مش كثير يا ابنى... بس وقعت قلبى.

-هو ايه اللى حصل؟

-أنت عملت حادثة.. حادثة كبيرة بس من فضل ربنا عليا إنك دلوقتى بقيت أحسن.

-طيب هو محدش قالك هنمشى أمتى؟

-الدكتور قال بس نطمن إن كل حاجة كويسة... أصل الغيبوبة اللى أنت كنت فيها دى كانت كبيرة... بيقولوا معجزة إنك فقت ومن غير أى مضاعفات.

تتركه للحظات وهى تقف مع طبيبه.

-هو كده بقى كويس؟

-آه طبعًا كل حاجة سليمة.. بس ممكن يكون فى تأثير على المخ احنا مش شايفينه.

-طيب نطمن ازاى؟

-مع الوقت هنطمن.

***

أسبوع يمر وفى كل يوم تحاليل جديدة ومع كل تحليل تقل عدد الأسلاك المتصلة إلى جسدى أستعيد عافيتى بشكل كبير، لماذا هذا التمسك بالحياة ألم يحن الوقت للرحيل، هل أنا حقًا مستعد للرحيل، أحدث نفسى كثيرًا فى تلك الأثناء أشم تلك الرائحة التى لازمتنى لسنوات على درجات سلم عمارتنا، تقتحم بنورها تلك الظلمة التى أعيش فيها، أرفع بصرى قليلا وبحذر نعم هى نور تقف أمامى.

-نادر أزيك؟

هل ابتسم**!**؟ أم أصب غضبى عليها**!**؟ هل أنهرها أو أحتد عليها؟ خواطر تتوالى فى راسى فى لحظة سؤالها ولكن كيف لى أن أنهرها لا زلت ضعيفا أمامها.

-الدكاترة بيقولوا إنى كويس.

يجلس نادر على طرف السرير وهو يبدى أمامها بعضا من القوة ربما تكون زائفة لكنه لا يريدها أن تراه ضعيفا.

-طيب الحمد لله إنك كويس.. احنا قلقنا عليك جدا.

-بجد..؟ طيب.

-طمنى عليك!

نظر إليها دون وهن، تبتسم والدته بعد أن عاد بريق ولو لحظى إلى وجهه وتوجه الحديث إليه.

-حبيبى هاروح أعمل أنا اللى قلت لك عليه.

-هتعملى ايه يا ماما؟

-مش فاكرة بس هاروح أنا وخلاص.

تسحب نور كرسى وتجلس فى مواجهته.

-طمنى عليك بقى.. أنت كويس صح؟

-أنا كويس... الدكاترة بيقولوا إنى قوى ومش من السهل حد يقدر يقاوم اللى أنا كنت فيه.

تضع يدها فوق يده، يسحب نادر يده بهدوء وهو ينظر فى اتجاه

الأرض.

-أنت بجد كويس.. أنا مش...

يقاطع حديثها:

-لو قصدك على جسمى أنا تمام.. ايدى كويسة أهه كانت صوابعى بتبرد على طول أصلهم بيعلوا التكييف جامد هنا.

يرفع أصابعه أمامها.

-باعرف أحركها ومفيهاش مشكلة، رجلى برده تمام بتتحرك الحمد لله وبقدر أروح التواليت بيها وأرجع، كانوا بيحركوها وأنا فى الغيبوبة عشان ميحصليش مشاكل فى العضلات.

يرفع قدمه إلى أعلى ثم يضغط بها على الأرض.

أنا كمان فايق جدًا وفاكر كل حاجة بتفاصيلها قبل الحادثة اللى مش فاكر عنها أى حاجة، بس هما قالوا ده عادى، وظائف جسمى ميه ميه وأحسن من ناس كثير.

تأخذ نور نفسا وهى تقترب أكثر.

-أنا كنت خايفة أجى وأنت فى الغيبوبة دى.

-ليه..؟ كنت تعالى مكنتش هابقى حاسس.

-بطل الأسلوب ده بقى.. أنت عارف أنى.....

-ششششش... أنا مش عارف حاجة.. شفتى بقى هانسى واجب الضيافة تشربى ايه.. أكيد شاى بلبن صح.. هكلمهم.

-نادر والله العظيم أنا كنت بموت أنت ليه بتعمل كده؟ ليه كمية التوتر اللى أنت فيها دى؟

-الدكاترة قالولى بلاش توتر... وأنا مش متوتر والله خالص.

-نادر أنا بموت!

وقف نادر أمامها.

-وأنا مت يا نور.. مت ورجعت تانى للحياة عايزة ايه؟

-أنا بموت عشان أنا كنت السبب.

ابتسم نادر ونظر مرة أخرى إلى الأرض ثم أزاح وجهه ونظر إلى النور المتسلل من النافذة وهو يحاول أن يخفى انفعالاته.

-بصى يا نور... أنا كنت إنسان مليان وجع، مليان لحد آخر حتة فى جسمى وأنت كنت الغطاء اللى بيمنعنى من الانفجار، كنت دايما بقول لنفسى هى دى اللى كفيلة تنسيك الوجع اللى شفته فى حياتك، أنا كنت بحبك

-كنت!!

نظر إليها ولمعة فى عينيه

-سيبينى أكمل... سيبينى... أنا كنت بحبك بكل حاجة أملكها، النفس الأمارة بالسوء دى ماكنتش بتفكر إلا فى الخير عشان أنت فى حياتى، مشاعرى كلها كانت ملك ايديك، كنت مسلوب تماما فى حبك وعشان أكون صريح معاكى أنا كنت مستمتع جدًا بفكرة الحب الأفلاطونى ده... الحب اللى من غير أى مقابل، بس لما دخلنا فى الجد ورفضتينى الغطاء اللى كان مغطى هموم الدنيا اتشال وانفجرت كل لحظات الحزن.

-نادر والله العظيم أنا مكنتش متخيله كم الحب ده.

-ماكنتيش ايه؟ مكنتيش بتشوفى عينى مثلا وهى بتبص لك ولا يمكن محستيش بايدى وهى بتلمسك أو يمكن ماوصلكيش إحساس الحب النضيف وأنا ببص لشفايفك وهى بتتكلم، يمكن ماشوفتيش الوجع اللى كنت بابقى فيه لما كنت بتتوجعى، ماحستيش بايه يا نور؟ ماتخيلتيش إنى كنت بعشق اللحظة اللى بتعدى فيها من قدامى

-نادر... أنا آسفة والله العظيم.

-وأنا كمان آسف يا نور.. أنا كمان آسف... بس واضح إنى كنت بحب واحد. تانية.

يجلس نادر على السرير ويضع يده فوق رأسه، تجثو بركبتيها على الأرض وتمسك بيده الأخرى.

-كلنا بنغلط.. أنا محتاجة فرصة.

-يا نهار فرص... ده أنا أمى اتذلت ذل بسببك يا نور.. الست اللى حضنتك أول لما دخلتى دى اتذلت بسببك.

-هى سامحتنى.

-هى تسامح أو لأ ده حقها، إنما أنا مش هاسامح نفسى لو فرطت فى حقها عليا مرة تانية.

-طب هو أنت لسه بتحبنى؟

-هاقولك حاجة بس ماتقوليش عليا مجنون... أنا مش فاكر أى حاجة من أول الحادثة لحد مافقت بس أنا تقريبا حبيت واحدة تانية.

يغمض نادر عيناه فى محاولة فاشلة لأن يتذكر هذا الحلم الذى كان يراوده فى غيبوبته.

-هو كان حلم جميل قوى.. هافتكره أكيد فى يوم.. أو هلاقيها هى فى

يوم... أنا تعبان يا نور ومحتاج أنام

تعود الأم وتقف نور من على الأرض وتنظر إليها بحسرة وندم، تحتضنها والدة نادر وتقبلها وتقول لها بهمس:

-بتعيطى ليه هو زعلك؟

لم تجب نور.

-هو أكيد تعبان وبكره لما يكون كويس.. كل حاجة هتتصلح.

-لا يا طنط أنا بوّظت كل حاجة ومفيش حاجة ممكن تتصلح.

***

تدريجيًا تعود حياتى إلى طبيعتها، تدريجيًا كل شىء بدا يتحرك إلى الأمام إلا أنا، أنا لا زلت هناك عالق، أنا عالق فيما قبل تلك الحادثة، أنا عالق فى تفاصيل حلم لا أتذكره، آخر شىء يأتى فى ذاكرتى تلك الفتاة التى كانت تجلس فى المقعد الخلفى وتبكى.

عاد نادر إلى المنزل بعد رحلة علاجية كان فيها أصرار وعزيمة منه أن يعود، صار الحنين فى جسده عندما لمست أنفاسه مكان نور، هنا التقيا للمرة الأولى.

-أنا نادر ساكن فوق فى الخامس.

-أهلا وسهلا.

-أنا عرفت أن تيته وجدو توفوا فـ حبيت أقولك البقية فى حياتك يعنى.

-شكرا... أنا اسمى نور.

-نور تمام... نور حلو جدا.

-أفندم!؟

صاحب تعجبها ابتسامة.

-لا مفيش ولا حاجة.

يصعد نادر درجات السلم ويصل إلى الحد الفاصل بين الدور الأول والثانى، هنا صرح لها بحبه.

-نور أزيك؟

-أزيك يا نادر؟

-ممكن كلمة.

-هنا؟

-آه هنا..ما هو مينفعش مكان تانى غير هنا.

-ليه؟

-عشان أنا مش هاعرف أقولك ده غير هنا.

-فى ايه يا نادر مالك؟

-أنا معجب بيكى جدًا وعايز نرتبط ببعض.

يصعد إلى الدور الثالث يقف أمام باب شقتها القديمة يتذكر الوداع.

-نور خلاص هتعزلوا؟

-ماتخافش يا حبيبى... هنتقابل كثير.

-بس مش هشوفك كل يوم!

-صعب نتقابل كل يوم.. بس أنا هارنلك كل يوم.

-لا رنة ايه... أنا هشحن مخصوص وهكلمك.. بصى لو هتصل بيكى من السنترال هرنلك قبلها لو رنتيلى هتكلم.. هتوحشينى قوى.

-نادر أنا مش مسافرة يا حبيبى.

يصعد الدرجات المتبقية بوهن شديد، لا يزال يشعر بالضعف، أخيرًا يجلس على الأريكة التى طالما كانت شاهدة على خطاباته لها، كانت نور تحب الرومانسية المفرطة كانت تعشق أن يكتب لها، هنا جلس

للمرة الأخيرة يكتب إليها:

حبيبتى نور:

ربما هذا خطابى الأخير أو الأول فى علاقة جديدة وارتباط رسمى، اليوم اكتب إليك وأنا كلى إيمان أنك لو قبلتى سنعيش معًا قصة من قصص العشق التى تتلمذت فيها على يديك، اليوم أطلب منك أن تنصتى إلى قلبى وليس قلبك، اليوم اطلب منك أن تلمسى روحى، أن تشفقى على كل نبضة للقلب وأنت بعيدة عنه، اليوم أنا أستطيع أن أتحمل مسؤوليتك كاملة، اليوم صرت على قدر من الرجولة التى لن تكتمل إلا بك بين أحضانى، اليوم أعتذر لك أننى لم أخبرك شيئًا عن والدى، اعتذر عن خوفى لتظنى يومًا أننى قد أكون مثله، اعتذر إخفائى لسنوات هذا الأب الذى لم أتشرف به يومًا، اعتذر لك من خوفى على صورتى أمامك وأن تعلمى أننى عشت سنوات من الشقاء، عشت سنوات وأنا أخفى عنك حقيقة حياتى لكنها لم تكن حياة أتشرف بها، ظلم من رجل فُرض على أن يكون والدى، ذنب اقترفته والدتى وأتحمله أنا، دعى الحاضر يخبرك عنى أكثر، دعى عشقك لوفاة جديك معًا يشفع لى وأنا أعاهدك أن تبقى يدك فوق رأسى وراسك مرفوعان دون انكسار، أعلم أن والدك رفضنى مرة وقد يفعلها الف مرة أخرى وأعلم أنى سأطلب فوق ألف ألف فقط لو أخبرتينى أنك ستنتظرى.

أنا نادر عاشق لكل ما لمستيه يومًا أتضرع لله أن تقبليه مرة أخرى.

أرسلت هذا الخطاب مع صديقتها، وقتها كنت على يقين أنها سوف تستجيب لتوسلاتى، كنت أعلم أنها تحبنى لكن الخطاب عاد إلى من جديد وفى الأسفل فقط كتبت « أنا آسفة».

تقف والدتى أمامى بطبق كبير به حساء ساخن ودجاجة كاملة.

-أنت مش هتقوم من مكانك غير لما تاكل ده كله؟

-أكل الفرخة دى كلها... ماما هو أنا باكل فراخ.

-آه بتاكلها.

-هو أنا ناسى الحادثة آه بس مش ناسى باحب وبكره ايه.... مش بحبها لدرجة فرخة كاملة ومسلوقة كمان.

-طب اشرب الشوربة.

-ماما أنا مش هاكل.

-اقسم بالله لو ماكلت ل...

-من غير حلفان والنبى... أنا مش هاكل بدل ما أروح أغيب تانى.

-لا خلاص أعملك شوية مكرونة مسلوقة.

-ماما هو أنا ايه علاقتى بالمسلوق؟

-وحشة.

-يعنى أنت عارفة... صح.

-صح يا حبيبى.. بس دى مكرونة.

-يعنى هى مكرونة بالجمبرى..؟ ما هى مسلوقة فبلاش.

-طب بص... خالتك وبنتها جايين و....

-و أنا تعبان يا ماما.. أنا تعبان.. بنت خالتى هتفضل بنت خالتى.. أنا حضرتها فى أوقات صعبة جدًا يا ماما، أنا شفت شنبها وهو بيخط يا ماماماينفعش، احنا كنا بنتخانق ضرب مع بعض يا ماما، بنت خالتى لما كانت بتلعب معانا عريس وعروسة كانت هى بتبقى العريس فـ مينفعش.

-طب المكرونة؟

-ماما أنا هدخل أنام.. كلى أنت المسلوق بتاعك..

-طيب أعملك لحمة مسلوقة.

-طيب أنا هروح انتحر بقى.. هاخبط دماغى وسلمى على خالتو وبنتها عشان أنا هنام.

***

مر وقت منذ خروجى من المستشفى صحتى فى تحسن مستمر وحالتى النفسية فى توقف تام، يسيطر على الاكتئاب بشدة، الحل الوحيد كان فى الخروج ربما أقاوم تلك الرغبة الملحة فى النوم المتواصل، الآن أسير وحيدا هائما بين طرقات هذا المول التجارى الشاسع، أشاهد ألواحا زجاجية خلفها منتجات فقدت المتعة فى متابعتها انظر فقط إلى انعكاسات الأضواء على تلك الألواح، أصوات لغات مختلفة تنادى على أطفال يملؤون الجنبات بصيحات لم أعد أتحملها، تنظر لى امرأة أربعينية لعلها تجد فى نظراتى شوق لم تحظ به منذ زمن، اللعنة على من اخترع عربات التبضع، اللعنة على من قرر أن يجعل هذا المول ملاذا، اللعنة على أنا أيضا فيما كنت أفكر عندما قررت القدوم هنا، ماذا تنتظر من بعد نور؟ فلتتحرك قليلا إلى الأمام فلتجد أنثى جديدة، أنت لا تحبها فقدت هذا الشغف لم أعد أريد أن أشعر بالحب أو أحب لم يعد لى بال للانتظار عانيت ما عانيت ولا زلت انتظر خلاصا لم يحن موعده، متى سوف أتقبل هذا؟ متى ستتحول نور إلى ذكرى فقط ذكرى دون أوجاع؟ يصطدم بى عامل النظافة فأثور بلا داع لم أعد أطيق شيئا سوى لحظات الانهيار لماذا لم أرحل فى المرة الأولى أنا لا أريد دنيا أخرى، دنيا أخرى... كان اسمها دُنيا، تلك الفتاة التى راودتنى فى أحلامى، أنا أحاول تذكر هذا الحلم كثيرًا وأفشل تتقطر تفاصيله بين الحين والآخر، كيف كان شكلها؟ ما هذه

السعادة التى اجتاحت قلبى عندما تذكرت اسمها؟ أسير مسرعًا إلى أقرب مكتبة داخل هذا المول الشاسع، مجهود لا يختلف كثيرًا عن الركض وراء أحلامك لا أحد يعرف خبايا هذا المول، صمم هذا المول على هيئة متاهة، أكثر من عامل استنجدت به بحثًا عن أى مكتبة إلى أن وصلت أخيرا، أحاول أن أبحث بين الأرفف عن كتاب يساعدنى لأستعيد هذا الحلم الضائع، محاولاتى باءت بفشل ذريع فى أن أجد كتابا يساعدنى أو حتى فى شرح ما أريد لعامل المكتبة، بعد معاناة أقف عاجزًا أمام رف للروايات أنا لا أحب القراءة لماذا أقف هنا؟ ما هذا الكم من الروايات؟ من هؤلاء؟ أعتقد إنه لم يبقى إلا أنا ليكون كاتبًا... وميض قوى يضرب فى رأسى وفتاة أحلامى تخبرنى « أنت كتبت رواية عنى»..

***

دُنيا

كانت طفولتى محل سخرية من الجميع، لا أعلم لهذا سببا سوى أننى كنت شخصية منطوية أحب الاختفاء عن الأنظار، كان الجميع يبادلوننى نفس الشعور فأنا الغير مرغوب فيها، وأنا فى المرحلة الثانوية شعرت للمرة الأولى بدغدغة الحب، ولكم أن تتخيلوا شخصية من أحب، أحببت شابا كان معى فى إحدى دروسى وبما أنى أمتلك حظا سيئا للغاية، كان يعانى من مرض لم يذكر أحدًا تفاصيله، كانت أسرته تحاول التكتم على مرضه لا أعلم لماذا، ورغم كل هذا حاولت الاقتراب منه، ربما بداعى الشفقة أو ربما حقًا أننى أحببته، لم تكن مصيبتى فى إعجابى بشادى حدث الكثير فى هذا الوقت، مصيبتى الحقيقة كانت فى أخته، كان لشادى أخت توأم لم تكن رقيقة مثله لكنها كانت تحب شادى حبا كبيرا، كان هذا واضحا فى تعاملها معه، كانت تعامله كوالدته لم أرغب فى أن أبحث عن أسباب، على ما أظن كنت افتقد الاهتمام وبحثت فى شادى عن الاهتمام بنفسى، لا يهم إن كنت لا تفهم دعنى أخبرك قليلا عن شدا، كان حديثى المباشر معها بعد انتهاء أحد دروسنا.

-ازيك يا دُنيا؟

-شدا عاملة ايه؟

-تمام.. بقولك ايه هو أنت معجبة بشادى؟

-أنا لا طبعًا... ايه الكلام ده؟

دعتنى للسير سويًا حتى محطة الأتوبيس وهى تختلق أحاديث كثيرة.

-تعرفى يا دُنيا أنت شكلك طيب جدًا... ممكن أحكى لك حاجة؟

-آه أحكى.

-بس سر.

-سر ليه أنا؟ احنا أول مرة نتكلم أساسا!

-لا عادى أنا مش بيفرق معايا الكلام ده.

-طب قولى سرك فى بير.. اصل أنا أساسا يعنى مابتكلمش مع حد.

-ما هو عشان كده هاحكيلك.

أمسكت يدى ووضعت رأسها على كتفى، اندهشت مما تفعله لكننا توقفنا قليلا خلف محل لبيع أسطوانات الأغانى وبدأت فى الحديث.

-عمرك جربتى تتباسى يا دُنيا؟

-نعم.. اتباس ايه؟ ايه اللى بتقوليه ده؟؟

-وطى صوتك يا مجنونة.

-أنا برده اللى مجنونة!

-طب اسمعى للآخر.

-اللهم طولك يا روح.

-عمرك بجد فكرتى فى كده؟

-معرفش يا شدا.. ايه اللى أنت بتقوليه ده؟ أنت عايزة تتريقى عليا أنت كمان.. مين مسلطك عليا.

-والله ابدا وأنا هتريق عليكى ليه ده أنت جميلة والله ما أقصد... طب بصى أنا هاتكلم وأنت اسمعى.

-شدا مش عايزة أتأخر.

-خمس دقايق.

-قولى.

-طول عمرى وأنا بفكر فى أول واحد هيبوسنى، تعرفى أنا عندى

بنات صحباتى بيحكولى عن الموضوع ده، عن النار اللى بتولع جواهم والحاجات اللى بتزغزغهم، عن إن البنت بعد البوسة الجامدة بتكون قد ايه مسلوبة وممكن تسيب نفسها يتعمل فيها اللى هى عايزاه.

-دى قلة أدب قسمًا بالله.

-الصراحة أنا جربت مرة.

-ربنا يهديكى ويهديهم ونمشى بقى عشان ماولعش فيكى وفى نفسى.

-أنا جربت يا دُنيا ومحصليش أى حاجة من اللى هم حكوا عليها، مفيش حاجة حصلتلى نهائى ولا زغزة ولا تخدير، ولما سألتهم قالولى عشان أنا كئيبة وإنى مسترجلة وضحكوا عليا وكانوا هيموتوا يعرفوا مين المجنون اللى جاله نفس يبوسنى ده.

-هو بغض النظر عن السفالة بتاعتك وبتاعتهم بس بصى أنا عارفة يعنى ايه حد يتريق عليكى على طول وإنك تبقى مصدر الكوميديا، لإن ده دورى من ساعة ما كنت صغيرة فما تزعليش منهم وممكن نبقى أصحاب بشرط بلاش موضوع صحوبية الولاد ده نهائى مش ناقصة هى أصلها.

اقتربت منى شدا فى وقتها كثيرًا أصبحت صديقتى المقربة فى وقت

قصير، والحقيقة عندما اقتربت منها اكتشفت أن إعجابى بشادى كان من باب الشفقة لا أكثر، شدا كانت من مستوى اجتماعى اعلى منى كثيرًا وبالتأكيد مادى ربما كنت ابحث فيها عن شىء ينقصنى.

-بت يا دُنيا!

-ايوه.

-عمرك لبستى فستان صدره مفتوح وقصير؟

-أنتِ مجنونة.. ده أنا اتدبح فيها دى.

-بصى خدى الفستان ده وابقى جربيه لوحدك.. أنا متأكدة إنه هينطق عليكى بجسمك ده.

-هو ايه اللى بجسمى ده مش فاهمة.

لم أرتدى من قبل فستانا بلا أكتاف ومفتوحا من الصدر فوق الركبة، أبى سوف يقتلنى لو رآه، لا لن يحدث لن يراه أحد بالتأكيد ولا حتى والدتى، سوف أعيده إليها فى أقرب وقت ولكن أين سأرتديه، لم أستطع النوم فى هذا اليوم، تسلل الليل وأنا أنظر إلى السماء لساعات، أفكر فى الفارس وحصانه الذى سيخطفنى افكر فى الحب والعشق والهيام، لكن أين هو هذا الشاطر الذى لو اقتحم حارتنا بالحصان لاتسخ هو وحصانه أو لسقطنا ثلاثتنا قبل الخروج منها؟

كانت الساعة تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل والسكينة تكسو المكان، هدوء معتاد إلا من أصوات بعيدة لمقهى عند أول شارعنا وسواد محكم فى ليلة اختفى فيها القمر كاملا، نظرت إلى الفستان الذى يشعر بنفس وحدتى ودون تفكير خلعت ملابسى كاملة إلا من حاملة صدرى والتى أحكمتها وأنا أرفع بها نهداى إلى أعلى وارتديت الفستان، تسللت دون حذاء وأنا أنظر من خلف كل باب لكى أتأكد من خلو المكان صعدت إلى سطح المنزل مسرعة وأنا ارتدى إسدال طويل أسفله الفستان توجهت إلى أكثر مكان نظيف، خلعت إسدالى ووقفت على أطراف أصابعى وتركت الهواء يختلس لمسات من كل جسدى، يداعب كل ما أخفيته عن الناس وأنا أستمتع، شعرى غير معصوب يطير على أكتافى وهواء فيه لذة البرودة فوق نهداى، لم أتوقف لكنى بدأت فى الدوران أرقص وأتمايل على أنغام موسيقى أسمعها فى رأسى ، لا مانع من أن ألمس جسدى لا مانع أيضًا من أن أحتضن نفسى، لم اجد أحدا وقتها يشاركنى تلك اللحظة سوى المدعو شادى أترك لنفسى حرية الخيال، يحتضنى بقوة يتلامس أسفلنا أشم رائحة ذكية تخرج منه، أشعر بالبرودة، أرقص بين أحضانه تركت أنفاسه تتحسس عنقى شفتاه تحاول الظفر بكل جزء مكشوف من جسدى، لا زلت أرقص وحيدة بين يديه حتى شعرت برعشة فى جسدى وبرودة ما هذا البلل الذى أشعر به، ما هذه السعادة لماذا أشعر بالخوف لم يلمسنى أحد، أعود مسرعَة إلى غرفتى أترك

الفستان وحيدًا مرة أخرى وأنطوى تحت الغطاء دون ملابس، أعلم أن أمى سوف تقتلنى إن رأتنى هكذا لكنى أحتفظ جانبى بعباءتى سوف أرتديها عند الاستيقاظ رغم الخوف إلا أن الابتسامة ظلت تعلو وجهى لساعات وأنا مستيقظة حتى تذكرت كلمات أمى عن هذا الجسد الذى لا أمتلكه، أسمع صوت بكاء أمى، لماذا تبكى؟ هل أخبرتك من قبل لماذا تبكى والدتى؟

مع الوقت أدركت السبب الحقيقى وراء بكاء أمى ليست المشكلة فى العلاقة الجسدية كما كنت أظن، كم كنت ساذجة، الوضع كان أعقد من هذا وإن بدا بسيطا، والدتى لم تكن تشعر بالأمان رغم الأجواء المحيطة ومجهود والدى المبذول فى أن يبقينا فى أدنى درجاته، أمى لم تكن تشعر بالأمان لأنه لا يوجد لديها ملاذ سوى بيت زوجها والدى وبيت جدى والدها، أمى لم تكن تشعر بالأمان ماذا لو تركت أبى قليلا وعادت إلى والدها هل ستكررها كثيرًا لو كان سببها أنها فقط تشعر بالضيق؟ أو لأنها تريد أن تستجمع أنفاسها مرة أخرى؟ بالطبع كان سيرفض فعلها كثيرًا أمامى « يا بنتى بيتك وأولادك أولى بيكى... بيت أبوكى مفتوح وقت ما تحبى بس بيتك» فى الحقيقة لم يفتح باب جدى لأمى سوى لأيام معدودة عند أى خلاف وتعود بعدها والدتى لأن «بيتها أولى» والدتى كانت تبكى لأنها شعرت بالخوف أن تكون امرأة غير مرغوب فيها كانت تبكى لخوفها من أنها قد صارت دميمة، كانت تبكى لخوفها من أن تبقى مجرد « بيتها أولى»

أمى كانت تبكى لأنها لم تمتلك قط رفاهية أن تخرج ولو قليلا لتسير بين الطرقات، أمى كانت تبكى على حالها لأنها تزوجت دون إرادتها من رجل صارت هى ملكية خاصة له وهو ملكية مباحة لمن يريد، أمى كانت تبكى لخوفها من المنافسة وهى تنهار كل لحظة فى مملكة وهمية اسمها «بيتك أولى» أمى كانت تحب والدى وهو كان يعشقها، لكنه أرث نشأت عليه، الخوف الدائم ومنعها من اتخاذ أكثر قراراتها مصيرية.

بالمناسبة أنا مثل أمى ورثت الخوف عنها، فى الحقيقة أنا دائما ما أشعر بالخوف، اشعر بالخوف أن يرى الناس حقيقتى الأنثوية وما أمتلك فأنهش بلا رحمة ربما أنهش بنظرات أو لمسات متعمدة، أنا أيضًا أشعر بالخوف من أن أترك نفسى ليرانى الآخرين فيسلب منى جسدى بدافع الحب، أنا مثل أمى فى كل شىء، هى تنازلت من قبل عن حق موافقتها فى اختيار شريكها وإن كانت محظوظة وربما سوف يصير حالى مثلها يومًا.

عذرًا على هذا الكم من الشكوى لكنها كانت صدمتى الحقيقية فى شدا

***

كنت أشعر بهذا الحلم الذى عشته فى غيبوبتى لكنى لم أتذكر

تفاصيله، فشلت كثيرًا فى محاولات استجماع خيوطا منه إلى أن قررت أن أبنى هذا الحلم، ومع كل ومضة تأتى منه كنت اكتبها، هلا أخبرتكم عن والدتى عندما دخلت عليها بأوراق وأقلام رصاص.

-ايه اللى أنت جايبه ده يا نادر؟

-مسدسات وصواريخ ....

-يا ابنى رد عدل ده أنا أمك.

-ما هو أنت شايفة ده ورق أبيض بيحتاج أقلام عشان يتكتب عليه ودول الأقلام عشان يتكتب بيها يا ماما.

-هتذاكر تانى..!

-لا أنا قررت أكتب رواية.

-يا خيبتى.

-مالك يا ست الكل؟

-لا مفيش.. ربنا يوفقك إن شاء الله بس بقولك ايه لما تخلص ماترميش الورق.

-عايزة تقرى اللى أنا هكتبه؟

-لا أقرأ ايه هو أنا فاضية، أنا هاطلع عليه بطاطس.

أمى على الرغم من همومها كان لديها حس مرح، لم أسألها من قبل ربما كانت تخفف به ضغوط حياتنا، ربما كانت تتسلح به أمام الاكتئاب.

-ماما ممكن سؤال!

-مدام قلت ماما يبقى عايز فلوس...

-لا بجد والله.

فى لحظة تدرك أن مسار حديثى يستدعى الجدية، فترسم على ملامحها الاهتمام.

-خير يا نادر يا ابنى؟

-أنتِ ازاى كده؟

-كده أزاى يعنى.

-ازاى بتعرفى تضحكى وتهرجى طول حياتنا وأنت كده؟

أخذتنى بين أحضانها.

-زمان يا نادر قبل لما أتجوز أبوك كنت على طول مبتسمه وسعيدة

وشايفة الحياة جميلة، كنت دايما بقول مهما حصل لى فأنا أكيد هفضل فرفوشة وكنت بستغرب قوى من الناس اللى فجأه تلاقى على وشوشهم حزن مع انهم كانوا عاديين قبلها، كنت بستغرب من أى حد يقولى أصلك مش فاهمة ولا عارفة ايه اللى أنا فيه وأنا كنت الصراحة بقولهم أى حاجة ممكن تعدى وأحاول أضحكهم واتبسط، كنت فاكرة إنهم بيبالغوا فى مشاعرهم دى عشان يستعطفوا الناس، بس بعد أبوك ويوم مع يوم والمشاكل بتزيد والضغوط بتزيد اترسم على وشى الحزن والهم، وبقيت بردد كلام صحابى بتوع زمان وأقول للناس أصلكم مش فاهمين وبقيت بارتاح قوى لما أشوف نظرة استعطاف فى عيون حد، أنا استمتعت وأنا بلعب دور الضحية والناس بتطبطب عليا وهم شايفين الراجل ده بيعمل فيا ايه، والرمية اللى كان راميهالى، بنت فى سن صغير معاها طفلين لسه وكآبة الدنيا جواها، فضلت كده لحد ما أنا وأبوك اطلقنا وكان لازم وقتها أقف على رجلى، كان لازم أسد عشانك أنت وأختك.

-أنت عملتى أكثر بكثير.

-على فكرة أنا كان نفسى أعملكم أكثر مليون مرة، المهم وقتها كان قدامى حل من اتنين يا إما أكمل وأنا مكتئبة وأنتم مالكوش غيرى فكان هيطلع عليكم الاكتئاب ده، أو إنى أحاول أرجع البنت بتاعة زمان ووقتها قلت لنفسى أكيد مش هتبهدل أكثر من البهدلة

والذل اللى شفتهم وواحدة بواحدة رجعت كده، أكثر حاجة كانت بتوجعنى شغلك وأنت صغير.

-دى أكثر حاجة أنا بحمد ربنا عليها... أنت ماتعرفيش الشغل ده عمل فيا ايه.. ممكن سؤال أخير ومن غير زعل.

-عارفاه ومستنية طول عمرى إنك تسأله.

-مين السبب أنت ولا بابا؟

- بص يا نادر... أنا طول عمرى وأنا بحاول مكرهكمش فيه... عشان وارد أكون أنا اللى كنت غلط ومكنتش عايزة قراركم لما تكبروا يكون مبنى على مشاعر أنا بنيتها، أبوك عندك روح وكلمه، وقرر أنت براحتك

-أروحله مش هتزعلى!

-ازعل ايه بس.. أنا هزعل بس على كمية الورق اللى هتترمى فى الزبالة دى.. مش حرام الفلوس دى كلها.

تقتحم خلود خلوتهم تنظر إلى نادر وهى تقبل رأس والدتها وتلقى التحية على نادر الذى يردها ببرود.

-نادر تحب تخرج أو تيجى معايا سينما..

-لا مش عايز.

-هو أنت مش أخويا... خرجنى.

تخرج خلود محملة بخيبة أمل فى أن تستعيده وخلفها والدتها.

-ماتزعلش منه.. طول عمره شايل هم أكبر من سنه.

***

يبدو أن الحياة أعطتنى خيارات أخرى بعد عودتى من الموت، سمحت لى أن أشاهد والدى كما سمحت لى أن أخرج من أسر نور إلى عبير آخر.

التقيت بوالدى ثلاث مرات آخرهم كان عند موته.

-الو.. بابا أنا نادر.

-أهلا يا ابنى... ازيك محتاج حاجة؟

-لا بتكلم بس.. أسال عليك.

-أنا كويس.. مع إنى كان نفسى تكلمنى من زمان.. ابقى تعالى زورنى.

كنت سعيدا بطلبه الزيارة لكن المدهش أن اللقاء تم على مقهى لم

أفهم لذلك سببا، رسمت المشهد كالآتى بمجرد أن يرانى قادما نحوه سيقف ويشد على يدى ويجذبنى ويحتضننى بقوة، من المؤكد أننى سأشعر معه بالطمأنينة، لكن حدث العكس بمجرد وصولى إلى المقهى.

-أزيك يا نادر، كبرت أهه أنا آخر مرة شفتك كنت لسه عيل.

-ازيك يا بابا؟

-اقعد تشرب ايه، بتدخن تاخد سيجارة ولا أجبلك شيشة!؟

-لا مش بدخن.

-طب تشرب ايه.. أقعد واقف ليه يا واد... أقعد.

لم أستطع الصمود أمام هذا الرجل كثيرًا، ربما لأننى توقعت ما هو أكثر بكثير من هذا الجفاء أو ربما هو لا يستطع البوح بمشاعره ربما لأننا نجلس على مقهى ربما لا يريدنى أن أرى المنزل الذى يقيم فيه من الممكن أن يكون دون المستوى ويخاف.... لماذا لا زلت أبحث له عن مبررات سنوات عمرى كلما أتى على خاطرى أسوق له من الأعذار ألفا.

أكيد هو وماما ماكانوش متفاهمين، أكيد هو بيحبنا بس الظروف، أكيد مسافر وهيرجع ويعوضنا، أكيد فى ست واكله دماغه وهيرجع

لعقله... كفى تلك الأعذار.

-لا أنا مش هاقعد كثير..

-أمك عامله ايه كويسة؟ اكيد كويسة ما هى طول عمرها عاملة جامدة.

كنت على وشك الرد ولكنى آثرت الصمت.

-اختك تمام وأنت تمام؟ لو عايز حاجة قولى!

كنت على وشك الرحيل لكنه صدمنى مرة أخرى.

-يالا قوم روح أنت بقى عشان الوقت مايخدكش.

طلبت منى والدتى أن أعطيه فرصة أخرى ربما مع المرة الثانية يرق له قلبًا أو يشعر بمشاعر الأبوة.

-ماما احنا مش محتاجين حاجة منه.

-أنا عارفة بس يمكن أنت محتاج مشاعر أب فى حياتك، روح له مرة كمان، مرة واحدة..

كان اللقاء الثانى فى المنزل الذى طردنا منه أنا وأمى وأختى منذ زمن بعيد، وقفت عند المدخل.

-تعالى أدخل.. بيتك.

قررت أن أهاجمه هذه المرة ربما يشرح لى ما لم أفهمه عنه طوال حياتى.

-مش هو ده البيت اللى أنت طردتنا منه من سنين؟

-أنا كنت صغير وقتها و.. ووالدتك...

-مالها كانت صغيرة هى كمان؟

-بلاش تحكم عليا.

-بس عشان أكون واضح معاك جدا... أنا هنا عشان هى طلبت منى أجيلك مرة تانية، بعد المقابلة بتاعة القهوة.

-أدخل.

جلست مع والدى أقل من نصف الساعة فى تلك الفترة سمعت أصواتا تصدر من داخل إحدى الغرف، حاولت أن أسأله مباشرة عن سبب ما فعل لكن من الواضح أن هذا الشخص لم يتغير كثيرًا عن الماضى.

-هو فى حد جوه عندك؟

-لا مفيش. بتسال ليه؟

-أنت مش سامع أصوات؟

-مش مهم... لو عايز حاجة قولى على طول أنا أبوك برده.

-أمشى يعنى؟

-ابقى تعالى زورنى.

-أنا مش فاهمك أنت عايز تقعد معايا وبتمشينى بعد نصف ساعة، دى عادة عندك بقى إنك تطردنى

احتد عليه.

-أنت ازاى تكلم أبوك كده؟

ضحك بشدة.

-أبويا.... الحاجة الوحيدة اللى هتخلينى ما اردش عليك هى أمى ربتنى على احترام أى حد كبير... أو أى حاجة فا مش هارد عليك.

-واضح إنها ماعرفتش تربيك.

وقفت أمامه ندًا.

-كله إلا دى... ممكن تتكلم فى أى حاجة إنما الست اللى أنت عذبتها وأنا صغير بقى ليها راجل مش هيسيبك تهينها تانى... أنت

فاهمنى صح ولا أفهمك أكثر.

-ايه هتضربنى؟

-تانى الست اللى أنت رميتها زمان ربتنى كويس... أنا اللى منعنى عن إنى آخد حقنا منك هى الست اللى أنت بتقول مش عارفة تربينى، طب أنت كنت فين عشان تربينى، أنت تعرف عننا حاجة، أنت عارف أنا اتبهدلت بسببك قد ايه من زمان ولحد دلوقتى، أنت عارف إن الناس بتعايرينى بيك.

-أنت ولد قليل الادب.

-أنا هقوم أمشى... عشان أنا خلاص عرفت ماما سابتك ليه.

-غور فى ستين داهية برده أنا أبوك.

-أبويا ميت... دى الكدبة اللى كنت بكدبها على الناس بس دلوقتى بقت أكثر حاجة صدق فى حياتى...

كان نادر مُصرا أن يعلم من معه فى الشقة انتظر أمام الباب لساعات حتى خرجت امرأة ترتدى عباءة سوداء وتضحك وهى تقبله وهو يضع يده على صدرها.

لقاؤنا الثالث كان بعد موته، مات وحيدًا فى إحدى المستشفيات

نظرت إلى أخته التى من المفترض أنها عمتى التى لم التق بها.

-مش حرام تسيب أبوك فى آخر أيامه.

-حضرتك عمتى صح؟

-أنت نسيت عمتك.

-هو أنا مكنتش بشوف عمتى أساسا عشان أنساها.

-مالك بتتكلم كده ليه.. أدخل بص عليه وسلم عليه وقوله إنك مسامحه.

-أنا اسامحه!! لا طبعًا مش هسامحه.

-ايه الجحود ده يا ابنى ده ربنا وصى عليهم.

-ونبى محدش يكلمنى بكلام ربنا مع واحد ماكانش يعرف ربنا أساسا.

لم استمر معها فى نقاش سنصل فيه سويًا إلى نهاية مسدودة، كان على فقط أن أنهى إجراءات الدفن لكنه لم يدفن فى المدفن الذى ابتاعته لنا والدتى، أنا تركته يدفن فى مدافن عائلته وتركت لهم تنازل عن أى حق لنا فى ورث منه، له منى لعنات لن تتوقف.

***

دُنيا

أنت لا تعلم شيئا عن عالمنا، كل شىء يبدأ فى مرحاض السيدات، السيجارة الأولى، أول مرة تستخدم فيها مساحيق التجميل، عمليات شد الصدر للإغراء، عمليات إزالة الشعر، كل شىء كنت أشاهده للمرة الأولى داخله، لكنى لم أكن أتوقع أن أخوض تلك التجربة لم أكن أتوقع أبدًا، كانت خطوبة صديقة لشدا ودعتنى للخطوبة، نزلت من بيتى يومها بملابسى المعتادة ومررت على شدا فى منزلها هناك أصرت أن أغير ملابسى وأرتدى فستانا مشابها لهذا الذى أهدتنى إياه، كنت مرتعبة طوال الطريق أن يرانى أحد من معارفنا لكن من المستحيل أن يأتى أحد من أقاربنا هنا، هذه ليست قاعة أفراح إنما احدى القصور الخيالية التى حلمت بها.

-دُنيا تيجى معايا الحمام؟

-آه.. آه طبعًا.

وضعت يدها حول خصرى فى طريقنا إلى هناك ثم كانت الصدمة.

-فاكرة يا دُنيا لما حكيتلك عن بوسة الأولاد وإنها محركتش فيا

حاجة.

-مالها تانى؟

-أنا جربتها مع البنات.

جذبتنى شدا بقوة والتهمت شفتاى بقوة، للحظة استسلمت لها وهى تداعب جسدى، تركتها وهى تلتهم بفمها أى جزء وصلت إليه، تركتها للحظات وأنا مسلوبة الإرادة وأنا أستشعر لذة لم أتذوقها من قبل لكن مع فتاة.. اللعنة، مسكت يدها بقوة ودفعتها إلى الخلف.

-أنتِ مجنونة؟

-لا... بس أنا...

-أنتِ مجنونة وأنا هاروح أقول....

-هتقولى ايه... أوعى... دُنيا أنا حاسة إنى محبوسة جوه جسم راجل، أنا بحب البنات وبحب.. ممكن نبقى أصحاب، ممكن تجربى تنامى معايا مرة، أنا عارفة إنك ممكن تبقى....

-ششششششششش

كان على العودة لارتداء ملابسى والتى لحسن حظى وضعتها فى حقيبة معى، وعدت إلى منزلى الم أقل لكم أن حظى أسود من ليلة بلا ضوء

للقمر، هذه كانت تجربتى الجنسية الوحيدة قبل الزواج، أحمد الله أننى كلما تذكرتها أشعر بضيق فى صدرى أنا أريد أميرا، أريد أن تكتمل الصورة الطبيعية أمير على حصان يخطفنى من هنا، كيف ستخطفنى أميرة؟ ازددت وحدة بعد تلك التجربة وازداد جسدى أنوثة، مرت الأيام وأنا أرفض كل من يتقدم لخطبتى، ظنت والدتى أننى على علاقة بأحد.

-يا بنتى لو فى حد قوليلى أنا أمك... ييجى ويتقدم ولو ظروفه مش مساعده نستنى.

-والله ما فى حد يا ماما.

-أوعى تكونى غلطتى وخايفة تتفضحى.

-ايه اللى أنت بتقوليه ده.... يا نهار أسود يا نهار أسود.. ازاى تفكرى كده؟

-ما هو مينفعش ترفضى كل الناس.

-ماما أنا مش عايزة أكون زيك.

هنا تابعت دموع أمى.

-ماله زيي، ما أنا زى الفل، أبوكى راجل محافظ عليا وعلى بيته

وعليكم، راجل بيعمل كل حاجة ممكنة عشان نعيش مستورين، ماله حالى ما أنا زى الفل الحمد لله، آه زمان ماكنتش بحب الراجل اللى ماكنتش أعرفه واتجوزنى بس كنت غلطانة، حبيته عشان هو كويس.

-طب يا ماما لو اللى جالى طلع مش كويس؟

-ضل راجل ولا ضل حيطة.

-لا يا ماما الحيطة أحلى من ضل واحد مش طايقاه.

-هو أنت لحقتى تعرفى حد من اللى اتقدملك؟

-لما يا ماما أشوف واحد ويكون فى قبول.. ممكن أعرفه بس مينفعش أتجوز من أول قعدة.

-بصى بقى عشان الكلام المايع ده... الراجل اللى جاى لو كويس أبوكى هيجوزك على طول... أنت بتكبرى النهارده فيه عرسان بكره هنقعد جنب الحيطة.

-وليه نقعد جنب الحيطة ما نقعد وسط الناس عادى.

-خلاص بقى.

***

أجلس بين أوراق كثيرة من الواضح أننى لا أجيد فن الكتابة لكنى أريد أن أتذكرها، ومضات فى رأسى نبته الياسمين أمام المنزل، رجل اسمه لا أتذكر اسمه لكنه ضحى من أجل أبنائه، فتاة انتحرت، امرأة عجوز، لا أعلم كيف أستعيد صورة دُنيا تلك الفتاة التى لازمتنى فى غيبوبتى.

-أنت لسه قاعد تكتب؟

-بحاول.

-وكتبت حاجة؟

-لا يا ست الكل ولا الهوا.

-مش بقولك أنت حلوف بس بتاع مشاعر.

-مين قالك إنى بتاع مشاعر.

-أنا مامتك، وعارفة إنك رومانسى وعارفة أنت بتفكر ازاى، سيبك من الجو اللى أنت راسمه حوالين نفسك، اكتب ... بقولك ايه عايز الورق ده ولا أخده أمسح بيه الإزاز... أنت عارف الورق بيخلى الإزاز زى الفل.

-ماما... أخرجى.

أشعر بالفراغ أفتح هاتفى المحمول وأتصفح صفحتى على موقع التواصل الاجتماعى وجدت نور وقد كتبت على صفحتها.

« النهارده ذكرى أجمل اثنين شفتهم بيحبوا بعض، النهارده الذكرى الـ ٥١ لتيته وجدو، لو ماتعرفوش الاتنين ماتوا فى نفس اللحظة تيته ماتت الأول وبعد كده جدو، ماتوا وهما ماسكين أيد بعض، وحشونى قوى»

ضغطت على إعجاب فاليوم يمثل لى الذكرى الخامسة عشر على لقائى للمرة الأولى بنور، وأنا أقدم لأسرتها أنا ووالدتى واجب العزاء، فى مثل هذا اليوم ضغطت نور على أوردة العشق فى قلبى، فى مثل هذا اليوم ظهرت نور، تركت الهاتف وقررت أن اكتب مشاعرى تجاهها على الورق حين أتت رسالة.

-أنت عملت like فأكيد أنت صاحى.

أنظر إلى الرسالة وأنا متردد هل أجيبها، ربما تكون علاقتنا انتهت لكن ما زلت مسلوب الإرادة أمامها.

-آه صاحى.. عاملة ايه؟

-النهارده ذكرى تيته وجدو.. فاكر.

-فاكر... ١٧ يناير الساعة ٨ ونص بالثانية.

-كنا أول مرة نشوف بعض.

- :)

-وش بيضحك ده اللى قدرك عليه ربنا؟

-ما الذكرى دى بتخلينى ابتسم... ده شعورى دلوقتى.

توقفت نور قليلا عن الكتابة.

-تعرف البنت اللى اسمها شدا اللى كنت بحكيلك عنها زمان إنها على طول مكتئبة دى عندنا فى الشغل، ماتت النهارده فى نفس المستشفى اللى ماتت فيها تيته وجدو.

-ايه الصدفة دى.. بس هى كانت صغيرة؟

-آه.

-كانت عيانة

-لا.. دى انتحرت.

-ايه؟

-والله... عملت زى الأفلام وسمعت إنها كتبت جواب لأهلها وأخدت مش عارفة منوم ولا ايه كثير لحد ما ماتت.. تفتكر ممكن

ربنا يرحمها؟

-لا والله دى حاجة بتاعت ربنا مش بتاعتى...

-يا رب يرحمها... بص أنا بكلمك عشان أنا حاسة إن الدنيا صغيرة نادر أنا غلطت ومعنديش أعذار أرجوك سامحنى بقى.

-أنا عمرى ما هزعل منك يا نور... أنت السبب فى إنى أكون إنسان عنده هدف.

-طيب كويس.

-بس من بعد أنا ما رجعت من الموت اكتشفت فعلا إن الدنيا أصغر بكثير من إنى أفضل مهموم وراها....

توقفت عن الكتابة للحظة.

-أنتِ قلتى البنت اسمها ايه؟

-اسمها شدا.

أنهيت الحديث مع نور بحجه أن هاتفى يحتاج إلى شحن فقد أوشكت بطاريته على الانتهاء وبدأت أحدث نفسى:

الست العجوزة كانت جدة نور وماتت ١٧ يناير، الراجل اللى فى الحلم كان اسمه مرزوق ومات ١٧ يناير، البنت اسمها شدا وماتت ١٧

يناير، كدت أن أجن.

-ماما... أنا افتكرت كنت بحلم بمين.

-واضح إنك رجعت من الموت نسبة ذكائك صفر.

-ليه بس؟

-شاغل نفسك بحلم.

شرحت لها كامل التفاصيل نظرت إلى.

-النهارده ١٧ يناير وكلهم ماتوا فى نفس اليوم فى ايه بقى.

-واحتمال فى نفس المستشفى.

-ايوه أنا استفدت ايه بقى؟

-أكيد البنت اللى اسمها دنيا... موجودة فى المستشفى.

-بص أنا عارفة إنك حلوف بس مكنتش متخيلة إنك حلوف ومتخلف.. صعبة الاتنين مع بعض.

-ماما أكيد هلاقيها هناك.

-أو يمكن ماتت...

-يمكن.

-يبقى تتجوز بنت خالتك.!

***

دُنيا

كل شيء كالمعتاد هكذا ما أصف قصة زواجى لا حصان ولا فارس ولا قتال من اجل الظفر بجبى، فى الحقيقة كنت أظن يومًا أنى أساوى وزنى ذهبًا رغم أن أمى لم تخبرنى يومًا أننى ست البنات أو أننى سوف أتدلل لاختيار شريك حياتى، أمى كانت دائما تدعى ربنا «بس» يكرمك وتتجوزى أقصى أمانيها أن أتزوج أن أنال رضا رجل سمحت له ظروفه المادية بالزواج، وكل شيء مر كما مر على أمى وكما مر على جدتى موروث أقسمت عليه جدتى الكبرى أن يبقى ويستمر، يأتى زوجى نلتقى ثم يبدى رأيه فى ثم يوافق جميع الأطراف دون الرجوع لصاحبة الشأن تبدأ أمى فى تجميع كراتين قد خزنتها فى كل مكان متاح فى المنزل، اكتشفت أننى مثلا سوف أتزوج بدستين من المناشف والآلاف من الأطباق وملايين من الملاعق وملاءات الأسِرَّة، فى الحقيقة أنا لا أنكر أن أمى اهتمت بكل شيء يخص زواجى لكنها فقط لم تهتم بى، لست جاحدة كما تظن أنا لست ناكرة للجميل، ولست شاذة عن القاعدة أو من مدعيات التحرر الزائف أو الانحراف لا أنا فقط كنت أريد أن أختار زوجا بعد كامل معرفة، لا تكفى لقاءات ما قبل الخطبة هل تعلم مثلا أننى أدركت حب

هذا الرجل لأصناف طعام أنا لا أطيق النظر إليها هل تعلم أننى كنت مجبرة أن افرغ كامل ما فى بطنى أثناء تحضير إحدى تلك الوجبات، لست تافهة كانت هذه إحدى أهون اختباراتى من بعد الزواج لكن هل للخادمة حق الاعتراض؟ زوجى إنسان طيب أو من كان زوجى، هو ليس خائن لكنه كان يحب ما لا احبه، كنت مرة فى لقاء بعد الزواج مع أمى وأخبرتها على كم التناقضات وبغض النظر عن أنها رأت كل هذه الاختلافات تفاهات سطحية وربما بسبب «أنهم دلعونى قوى فى التربية» على الرغم من أننى لم أكن يومًا مدللة فى منزلى، هل كانت تُنَشِئ فتاة غيرى!؟ هل حقًا أنا مدللة لأننى لا أستسيغ رائحة سجائره؟ هل أنا مدللة لأنه يفضل النوم معى بطريقة تقليدية جافة؟ وأنا أريد أن أشعر بالحب؟ هل أنا مدللة لأنه لا يهتم بكل شىء فى المنزل إلا أنا؟ هل أنا مدللة لأننى أرفض أن يتركنى لساعات بين جدران منزله؟ هل ذنبى أن لى مشاعر لا أريد أن أتركها تنطلق فى المحظور!؟ هل ذنبى أننى أريد أن يشعر فقط بأنه جسدى وأنا أهبه إياه!؟ هل ذنبى أننى أريد أن أخرج من لعنة حياة أمى وجدتى وجدتها!؟ أنا لا أسأل الحرية ولا أقوى على الصراع لانتزاعها أنا فقط أطلب الإنصاف هل سوف تنصفنى أنت وأنت تنعتنى بالعاهرة أنا لست عاهرة، إياك أن تطلق على هذا اللقب لم أخن زوجى يومًا قط لكننى قررت أيضًا بل وأقسمت أننى لن أخن نفسى، سأهب كل ذرة فى كيانى لمن يستحق وبكامل إرادتى، هل تسأل ماذا حدث لى هذه

المرة؟ لن أصمت كما صمتت أمى عندما اعترضنى هذا الكائن فى مدرستى ولن أصمت كما صمت بعد محاولة شذا لن أصمت يا نادر، وللمرة الأخيرة أنا لست تافهة أو إمعة لأننى لست جزء من أثاث المنزل أو ممتلكات زوجى الذى أخبرك للمرة المليون أنه رجل جيد ومناسب ربما لفتاة غيرى، كان علىّ أن أنفصل، لماذا أضحك... لم يكن القرار بالسهولة التى تظنها.

استوطنت غرفتى بين أفكارى المتهالكة وبين يوم السابع عشر من شهر يناير فى السنوات الماضية، كانت أمى تطلق إحدى دعابتها حين أخبرتنى باحتمالية موت دُنيا فى يوم ١٧ سابق، ولكنى كنت أكثر جنونًا وتوجهت إلى تلك المستشفى، المستشفى التى رحلت فيها كريمة وزوجها القصة التى تناقلتها الممرضات فيما بينهم وهم يضغطن على شفاهن، عن الرومانسية التى بقيت تتداول عبر الأيام وتزداد أسطورة كريمة سمعتها بأكثر من صورة وبألف طريقة فى الفترة التى اعتدت فيها زيارة قسم الأرشيف فى المستشفى وأنا أبحث فى السجلات عنها، فى البداية بحثت فقط فى أيام السابع عشر من يناير للسنوات الخمس الأخيرة ثم للعشر ثم أى ورقة فيها هذا التاريخ لكن دون جدوى، امتد البحث فى كل تاريخ وفوق كل ورقة ومع كل عامل عن أى حالة وفاة لفتاة تدعى دُنيا دون نتيجة، إذن احتمالية موتها ضعيفة واحتمالية أنها لم تأتى بعد قائمة، أقل من خمسة أشهر على العام الجديد ربما أجدها هذا العام.

انطوى نادر فى حجرته أصبح قليل الظهور والكلام كان يجلس وهو يحاول أن يسرد قصصا على أوراق عله يجد ضالته هذه الفتاة، يومًا يمر بعد الآخر يزداد وحدة، فكر للحظة العودة للتحدث مع نور ربما يجد فى روحها راحة لكن نفسه منعته، ربما خاف من أن ترفضه مرة أخرى أو ربما لأنه فقد الإيمان بكل شىء، رغم القوة الظاهرة إلا إنه من الداخل لا شىء سوى ذكريات سوداوية وحلم قائم فى خيالة لفتاة تدعى دُنيا، نادر بلا أصدقاء، الظروف هى التى حكمت عليه بهذا، نادر يعمل منذ أن كان فى المرحلة الثانوية وكان يرى كل من هو فى مثل سنة ولديه أب وأم كائن مرفه سطحى فلم يكن يختلط مع من هم فى مثل سنه ولأنه لم يجد من هم أكبر كان وحيدًا حتى أخته التى ظلت سنوات حبيسة نفس ظروفه لم يكن يتقرب منها، هل كانت فى أشد الاحتياج لرجل فى حياتها لكن نادر معذور لم يكن عليه القيام بكل هذه الأدوار فى مثل هذا العمر.

فى لحظة نادرة يطرق نادر باب غرفة أخته.

-خلود... ممكن أدخل؟

بصوت يبدو عليه الدهشة:

-آه... آه .. تعالى.

-فاضية شوية نتكلم؟

-يالهوتى السودا... أنت عايز تتكلم معايا بجد؟

-فى ايه يا خلود؟

-لا أصل هذا الموضوع نادر حدوثة للغاية جدا جدا.

-أمشى؟

تقف وتمسك يده وتجذبه للداخل.

-لا تمشى ايه.. أنا مش عارفة هترجع لعقلك امتى وتحلقلى.

-فى ايه با ينتى؟

-بص أقعد أنا زارنى النبى والله... عايز ايه بقى؟

-أنت بتصلى ليه؟

تجلس خلود على ركبتيها فوق سريرها وتهرش فى شعرها.

-هو أنت بالصلاة على حضرة النبى.. جاى بعد السنين دى من قلة الكلام وأول حاجة تسألنى عليها الصلاة، يا أخى أسألنى عاملة ايه الأول كويسة ولا وحشة.

-هتتريقى زى أمك هاقوم.

-لا لا لا... يا حبيبى لا.. مقصدش.

-أنتِ عارفه إنى معنديش حد أسأله.

-هحاول أتكلم معاك جد..

-بتصلى ليه اخلصى.

-والله يا نادر يا أخويا أنا معنديش إجابة واضحة عشان زى ما أنت شايف كده أنا مش مغسلة وضامنه جنة ومش ماشية على الصراط للأسف يعنى بس أنا ممكن أحكيلك امتى بدأت أصلى.

-امتى!!

-لما بابا ساب البيت كنت صغيرة ومش حاسة بحاجة وعادى مش فى دماغى يعنى أو مش فاهمة فكان الوقت بيمر وأى حاجة موجودة بتتاكل وأى لبس بيتلبس وعيلة صغيرة، ماكانش فارق وأنا شايفة ماما وعجزها وشايفاك وأنت مسحول بذنب مش بتاعك لحد ما فى يوم كبرت، كبرت وأنا عندى اتناشر سنة، فى يوم ماكانش فيه فلوس فى البيت وأنا كنت تعبانة جدًا كل اللى كان مع أمى يومها شوية ميه وكمادات وبنتها بتتقطع وهى مش عارفة تعمل ايه، أنا شفت دموع ووجع فى عين أمى أكثر بكثير من الوجع اللى أنا كنت فيه، نادر ماما مكانش معاها تجيب لى أى حاجة تطبخها عشان آكل حاجة دافية، أمى اتذلت وهى ماكانش قدامها أى حل غير إنها تنزل تخبط على جارنا وقتها عاصم أبو نور بتاعتك.

-أنا مفيش حد بتاعى.

-المهم أمى خبطت عليهم عشان تطلب منهم دواء بحجة إن الوقت متأخر ومش هتقدر تسيبنا نايمين بس مكنش عندهم دواء، أنا فاكرة إن ماما طلعت بحسرة على وشها ولطمت وصوتت بصوت مخنوق عشان محدش يسمعها أنا سمعتها والآه طالعة من جواها قوى لحد ما الباب خبط وعاصم اللى أنت بتكرهه كان معاه شنطة فيها أدوية وشوية أعشاب ومراته طلعت أكل دافى، أنا كبرت لما حسيت بالعجز فى عين أمى وهى مش قادرة ترفض الصدقة عشان مفيش قدامها حل تانى.

-خلود.. ايه علاقة كل ده بالصلاة؟

-أنت عارف إن احنا يعنى متربناش على دين والصلاة دى ماكانش حد بيفكر فيها بس يومها وأنا نايمة ودرجة حرارتى عالية بصيت للسقف وكلمت ربنا قلت له «أنا عارفة إنك أكيد موجود بس مش عارفة أنت ناسينا ليه وسايبنا ليه كده»

-ولقيتى رد؟

-رد... مش عارفة بس يومها قررت إنى لازم أقرب له.

-قررتى كده وأنت اتناشر سنة؟

-أنا سنًا كنت اتناشر.. بس حياة كنت أربعين يا نادر، أنا قررت يعنى «استغفر الله العظيم» أدى ربنا فرصة.

-أنت بتستغفرى ليه... ما هو السبب؟

-اسمه ربنا مش هو، ممكن تقول القدر بس هو تقولها لصاحبك.

-ما علينا بالمسميات.

-طيب مع اعتراضى يعنى على طريقتك بس أنا هاكمل.

-كملى.

-أنا قررت أدى لربنا فرصة وأصلى وأدعيله.

-والدنيا اتحسنت؟

-لا خالص، الدنيا كانت بتصعب علينا كل ما بنكبر بس تعرف، فكرة الأمل إنك بتدعى وأنت بتصلى وفى شبه يقين جواك إن فى حد سامعك ومش هيسيبك دى كانت مريحة قوى، فكرة العياط وأنت ساجد وعاجز عن أى حاجة تانية كانت بتهدينى جدًا، فكرة إن فى حد ممكن يسمعك ويطمنك وتطمن معاه دى كانت بتهون كثير قوى يا نادر قوى، ربنا كان معايا عشان كده عمرى ما حسيت بالوحدة اللى أنت عايش فيها، أنا مش هعرف أوصف لك الإحساس

عشان دى حاجة لازم تحسها بنفسك.

-بس ماكانتش بتجيب أكل ولا شرب ولا فلوس.. ماكانش بيعملنا أى حاجة غير وجع فى وجع وبس.

-نادر هو أنت مش مقتنع بفكرة وجوده ولا أنت ناقم بس عليه؟

-أنا مشفتش منه غير شقى وبس فبقى فكرة وجوده أو غضبى منه أساسا مش فارقه كثير.

-تعرف الفرق بينا ايه؟

-ايه؟

-إن نفس الظروف عديت علينا احنا الاتنين بس أنا كان عندى حاجة اتشعلق فيها... إنما أنت لا، الراحة النفسية للى ذينا كانت مهمة، وأنا مالقتهاش غير فى الصلاة.

-وعمرك ما سألتى نفسك اشمعنا احنا؟

-لا...

-جامدة أنتِ بقى.

-لا والله خالص ومتسألنيش عن السبب، بس أنا قررت أكون متصالحة مع نفسى وسامحت والله كل حاجة الموضوع ماكانش سهل

وأنا صغيرة ومش فاهمة بس كل ما كانت مصيبة تحصل كنت أقول لنفسى معلش أكيد فى يوم هتتحسن.

-طيب ما الدنيا اتحسنت بتصلى ليه لحد دلوقتى؟

-يمكن تعود... يمكن ربنا حاببنى وعايزنى أفضل قريبة منه معرفش بس أنا الصلاة فى حد ذاتها بتخلينى مرتاحة، ربنا خلقنا عشان نضعف شوية ونبعد شوية بس لما نحتاجه لازم نروحله لازم ندعيله، اقتنعت بأى حاجة؟

-مش مهم اقتنع ولا لا مش هتفرق معايا... ينفع أسألك حاجة كمان؟

-أنت أخويا أسأل اللى أنت عايزه.

-فكرتى تسامحى بابا؟

- كثير قوى لحد ما وصلت إنى أسامحه من عدمه مش هتفرق.

-بس أنت ماحاولتيش تزوريه مثلا؟

-عشان أنا قررت أنى أكمل حياتى عادى باعتباره مش موجود وبطلت ألومه، لازم تعرف يا نادر إن كلنا فى الآخر هنموت فايتعيش وأنت متعذب ياتعيش وأنت مرتاح ودى بتاعتك.

-خلود.. أرجع لنور.

-قبل ما تفكر فى نور وبابا أنت محتاج تسامح نفسك الأول.

***

صرت أكثر جنونًا، أحاول استعادة هذا الحلم مع الوقت أتذكر كلمات أو تومض فى رأسى ذكريات، تتردد فى رأسى «أنا من أسيوط.. عزبة أبو القاسم.. لو حابب تيجى تزورنى اسأل عليا عند مسجد الحظايظة»

-ماما أنا هسافر أسيوط.

-خيبتى .. ليه؟

-فى حد هناك هاسأل عليه.

-وده برده كان فى حلمك؟

-آه.

-خيبتى برده.

-هو أنا ليه محدش فاهمنى.. أنت ليه بتتريقى؟

-عشان يا ابنى أنت صعبان عليا... مش معقول تبقى مرتبط بحلم خليك عايش فى الواقع عيش الدنيا زى ما هيه.

–يا ماما الدنيا بقت غريبة عليا.. أنا مش حاسس إنى عايش... أنا مبقاش فيا روح مش قادر ومش عايز أعيش.

–ليه كل ده؟

–أنتِ اللى بتسألى.. وكأنك مش عارفة.

–عارفة وشفت وعشت كل لحظة معاك وسنين وأنا تعبانة بس الدنيا يا نادر براحتها تقرر تضحكك فنضحك وتقرر تزعلك فتتضايق تضغط عليك تلعنها تحن عليك تحبها... احنا كده لازم نقدر نعيشها.

–الدنيا جت عليا قوى يا ماما...

–تعرف أنت لو اتجوزت بنت خالتك.

–يا ماما!

–أنا باضحك معاك.. لو عايز نصيحتى.. احزن يا نادر عيط كسر فى الحيطة زعق اصرخ بس بلاش تفضل تلوم نفسك.

–ماما هو أنا ازاى دخلت فى الغيبوبة... ايه السبب والله العظيم أنا مش فاكر؟

–نادر ممكن تبطل تكتب؟

-لو بطلت حد هيقولى أنا حصل لى ايه.

-محدش يعرف يا نادر حصل لك ايه أنت ليه مش قادر تصدق.

-يبقى أنا هكمل اللى أنا بكتبه هى قالت لى إنى هاكتب عنها رواية.

-عن مين؟

-دنيا يا ماما... دُنيا.

-بلاش تكتب يا نادر... الكتابة بتكبر الوجع وأنت...

-أنا هاكمل يا ماما.

***

دُنيا

هل تفقدنى حقًا، ألم تكتشف بعد من أنا اللعنة عليك، ما هذا ازداد وزنك بشكل ملحوظ أين نادر الذى التقيته الشاب صاحب الابتسامة الأجمل، لا أنا لا أحبك وبالطبع تتذكر يجب عليك ألا تحبنى، دعك من هذا الحديث لنكمل، لماذا انفصلت عن زوجى!؟ سؤال جيد منك لكنى لن أجيب الإجابة التقليدية ، هو بالتأكيد كان جيدا فى كل شىء يخص ما تفكر فيه، لكن فى الحقيقة أنا قررت أن انفصل عنه لأخرج من تلك الفكرة التى لازمتنى لسنوات «جسدى هو ملك لشخص لم ألتقيه» هذا سبب، لا لا لم تكن المباريات تمثل لى أى مشكلة بالعكس كنت أشعر بالراحة فى أيام المباريات لأننى ببساطة كنت أستمتع بتلك اللحظات فى سكون، حتى التجاهل اعتدت عليه ربما كان يتجاهلنى دون قصد هكذا اعتاد الرجال موروث فاشل آخر، هو زوج عادى كجميع المعتاد الذى أخبرتك به سابقا، أنا أتحمل نتاج خياراتى تلك التى سوف يحاسبنى الله عليها، لست مثلك أنا أرتكب ذنوبا وأنا أعلم أن هناك رب، لا تقارنى بك لن أسمح أن تتحدث بتلك اللهجة عنه هو لا يزال رب هذا الكون شئت أنت أم أبيت، لا لست قديسة، فقط

أنا دُنيا مررت بأوقات عصيبة كثيرة وها قد حان الوقت لأصرخ وأرفع صوتى وأحطم كل ما قد جرحنى وأنا صغيرة فقط هذا ما أجبرنى على الانفصال، نعم سنوات وأنا أخفى مشاعرى عن الجميع وكانت الصدفة أنها انفجرت فيه، أشفق عليه فكان فى موقف لا يحسد عليه، ربما تمسكت بالانفصال حتى لو كان قرارى خاطئا لأثبت لنفسى أننى قادرة على اتخاذ قرار، لا لن أخبرك عنه أنا أتحدث عن نفسى، هل تعلم ماذا حدث بعد انفصالى قررت أن اخلع حجابى وأن أظهر جسدى للجميع، هل هذه أفعال قديسة، أنا لا اسمح لك أن تصدر حكمك بأنى على صواب أو على خطأ، أنا كنت أريد أن أشعر بالحرية أن أخرج من تلك القيود التى فرضتها علىّ هذه الدنيا، اللعنة عليك يا نادر لست عاهرة مرة أخرى أنا عاهرة أفكارك، أنا كشفت جسدى للجميع أليس هذا الجسد الذى اشتاقت إليه كل عين سقطت عليه، مرة أخيرة يا نادر هناك رب أنا على يقين بوجوده وأرجو أن يغفر لى، ألم تنظر أنت عليه فى أول مرة التقينا فلتسأله المغفرة لنفسك، ألا تتذكر عندما تركت قميصى مفتوحا وتفحصت جسدى؟ مجنون أنت، لا أنا لا أكذب أعترف مرة واحدة بالحقيقة، رجاء اصمت قليلا ودعنا لا نتحدث مرة أخرى عن جسدى يكفى تلك السنوات، هل تستطيع أن تنقذنى مما أنا فيه أنا أمامك فقط لا تنظر بعيدا يكفى أن تنظر تحت قدميك، هل تؤمن أننى حقيقة، أعلم أنك فقدت الأمل فى كل شىء نحن هنا سويًا فى لحظات ربما لا

يوجد لها عودة، هل تظن أنه سيغفر لى هل أنا مذنبة؟

***

يزداد الوضع سوءًا ويزداد معه وزنى رغم ضعف موهبتى فى الكتابة إلا أننى مستمر فى سرد قصتها، قصة تلك الفتاة الصغيرة التى أشرقت حياتها على عتمة فى مكان صغير الجميع يهرب من واقعه بحثًا عن منقذ له، لا أعلم ماذا أكتب عنها وكيف أجدها، أنا لا أتذكر فتاة تدعى دُنيا التقيتها يومًا، لم يكن هناك فتاة غير نور، هل أخطأت عندما تركتها؟

صوت طرقات على الباب.

-نادر... ممكن أدخل؟

-تعالى يا خلود.

-قوم أغسل وشك... نور بره.. عايزاك.

-نور بره؟

لم أستطع أن أخفى وزنى الزائد ولم تستطع هى أيضًا أن تخفى اندهاشها فى الحقيقة لم ارتدى ملابس جيدة خرجت لها بلباس نومى، لا أتذكر منذ متى وأنا ارتديه.

-أنا كان لازم أجيلك.

-تنورى أى وقت... بس لو جاية عشانى فأنا زى ما أنت شايفة كده.

-الموضوع ده أنت خلصته من زمان بس أنا مش عاجبنى شكلك.

-عايزة ايه يا نور؟

-أنت مش بس شكلك بقى غريب... ده أسلوبك كمان.

-عايزة ايه؟

-أنا جاية أقولك إنى هاتجوز.

-هو أنا المفروض أرد وأقول ايه؟

-ولا حاجة يا نادر... أنا اللى جاية عشان أقولك.

-هتتجوزى مين... أنا عارف كل الناس اللى أنت تعرفيهم مفيش حد يستهالك.

تضع نور دعوة الفرح أمامه، يأخذها ويفتحها ويقرأ «نور عاصم وشادى الدرينى»

-شادى مين؟

-أخو شدا اللى كانت معايا فى الشغل.

-اللى انتحرت؟

-هو ماله ومالها؟

-ليكون زيها.. أنا خايف عليكى مش توأم.

-لا ماتخافش... شادى عاقل.

-هى شدا انتحرت ليه.

-محدش يعرف ولا شادى نفسه.

-هو اسمه شادى ايه.. مش عارف أقرأ.

-اسمه الدرينى.. شادى الدرينى.

يضحك نادر.

-بتضحك ليه؟

-عشان أنا مش مجنون... واللى حلمت بيه بيتحقق.. دنُيا حقيقة يا نور أنا مش مجنون.

-أنا مبقتش فاهماك.

-شدا انتحرت عشان هى... عشان هى.

-هى ايه؟

-ممكن توصلى رسالة لجوزك المستقبلى.

-رسالة ايه؟

-رسالة من شدا....استنى هنا.

دخل شادى وتفحص أوراقه حتى وجدها رسالة كتبها.

« قول له... إنه ماكانش ينفع أفضل طول عمرى محبوسة جواه، ماكانش ينفع أفضل كل عمرى خايفة يتوجع عشان أنا بتوجع قد وجعه عشر مرات، ربنا خلقنا كده، احنا روح واحدة فعليا بس اتركب لها جسمين ومشاعر مختلفة ونفسيتين عكس بعض، قول له إن فى حتة من جسمى جواه فأنا هافضل دايما معاه بس قوله إنى مبقتش قادرة أضحى أكثر من كده، روحى هتفضل معاه إنما الباقى مش بتاعه ولا بتاعى وأنا مش قادرة على الحمل مش قادرة على نفسى ولا جسمى ولا مشاعرى ولا قادرة أفضل فى ضهره ومش عايزة أكون نقطة ضعف له، قول له إنى مشيت ومستنياه بس مش دلوقتى خالص وقوله لو خلف بنت مايسميهاش شدا، يسميها أى حاجة غيرى، قول له هو لازم يدور على سند وعشرة يفضل معاه، إنما أنا خلاص أنا اللى

جوايا محدش يقدر يفهمه ولا يعرفه»

نظرت نور إلى نادر بشفقة.

-نادر أنت... أنت محتاج تروح لدكتور.

-أنا لسه ماتجننتش... أنا مش مجنون دى رسالة من شدا.

قبل أن ترحل نور وقفت لتتحدث مع والدته.

-هما الدكاتره قالوا ايه؟

تدخل أمى تجلس معى بعد أن رحلت نور وعيناها تقسم إنه مسنى حد من الجنون، كل شىء ينهار حولى ولا زالت أمى صامدة.

-متزعلش يا ابنى.

-تعرفى أنا نفسى فى ايه دلوقتى؟

-اللى أنت عايزه يا ابنى؟

-عايز كوباية شاى باللبن زى اللى كنتى بتعمليها لى زمان.

-بس أنت مكنتش بتحبها.

-آه مكنتش بحبها فعلا بس اليوم اللى كنتى بتعمليها فيه كنت ببقى عارف إننا معانا فلوس وعندنا لبن وأكل فكنت ببقى مطمن، أنا

نفسى أبقى مطمن نفسى أحس بده.

–نادر.. أنت مش شايف إننا محتاجين نروح لدكتور عشان أعصابك تعبانة.

–ماما والله أنا مش مجنون... أنا حلمت.

–أنت كنت فى غيبوبة يا حبيبى واللى بيكون فى غيبوبة مش بيفتكر حاجة مش بيحلم حتى.

–ماما أنا شفت شدا فى الحلم وشفت كريمة جدة نور وشفت واحد اسمه مرزوق وفى دنيا وشفت نفسى وأنا تخين كده.

–نادر أنت مشفتش حاجة أكيد أوهام...

–أنا مش مجنون... أنا عايز أعرف أنا حصلى ايه..

***

دُنيا

لماذا أشعر أنك ما عدت تحب الحديث معى، هل تشعر بالملل منه، قاربت على الانتهاء الجميع كان يتهمنى بالفجور لكن لا أحد منهم يعرف القصة كاملة ولا حتى أنت، أمى لا تعلم قصة شدا ووالدى لا يعلم شيئا، زوجى أو إن صح التعبير طليقى لا يعلم عنى شيئا على الإطلاق، ولا أنت القصة لن تنتهى بعد لا أعلم لماذا لم تسألنى قط عن والدى، لا لا.. لا يوجد رابط بين والدى والمدعو مرزوق، هل تعلم أننى لا زلت أسمعه ليلا وهو يصرخ عليهم، لم تجد له مكانا فى روايتك عنى، كيف لقد أخبرنا هو عن روايته هل بحثت عنه؟ هل تستطيع أن تجده؟ أشك أنت لم تجدنى بعد، سوف أرحل وأترك خلفى تلك الأوجاع، لكن لا تنسى أن تخبرهم أنى مجنونة وعشوائية لكنى عاقلة ومنظمة، أخبرهم أننى غفرت للجميع، أخبرهم أن دُنيا كانت صادقة وكاذبة وملعونة مباركة، أخبرهم أننى لم أقصد أن أتركهم، أخبر الجميع أن دُنيا كانت بين أيديهم وملكهم وهم من تركوها تضيع، أخبرهم أن دُنيا لم تكن تسعى لرزق زائد أو متعة جسدية أو شهوة، أخبرهم أننى فقط كنت أريد الحياة...

***

يجلس نادر فى ظلمة غرفته يشعر بالغثيان من شدة أفكاره، الأم الرأس تضربه بقوة، لم يعد يحتمل، كيف كانت ليلته الأخيرة؟ هذا ما كان يشغل تفكيره طوال رحلته إلى أسيوط.

كانت الساعة تشير إلى العاشرة مساء، هدوء يخيم على المكان عربات قليلة تقف فى الموقف بالكاد يكتمل عدد أفرادها، اختفى الجميع إلا من ستة أفراد، نادر عائد محملا بخيبة أمل فى حب ضائع وعمر ظن إنه قد انتهى رغم أنه لم يبدأ بعد، تفكير فى هذه الفتاة التى التقى بها كيف تحكى له كل هذا دون أن تعرفه، أنثى ثلاثينية ترتدى فستانا أسفل ركبتها بقليل فوقه شال يبدو على وجهها الخوف، تحاول أن تخفى جسدها عن نظرات من حولها على الرغم من خلو المكان خائفة من أن تمتد إليها يد أخرى، رجل ينتظر العربة بترقب يكاد يبكى وهو عائد لا يمتلك من المال شيئا من أجل إطعام أطفاله حتى إنه لا يعلم ماذا سيفعل لو طلب منه السائق الأجرة هو لا يمتلك أى شىء وفتاة ترتدى ملابس فضفاضة غير متناسقة تطفئ سيجارتها وهى تنظر بكل سخط على من ينظر إليها نظرات اشمئزاز تتابع الموقف تنظر إلى نادر والأنثى تحاول أن تقترب من الرجل تريد أن تسأله لو تستطيع أن تساعده ليتوقف عن بكائه الصامت وزوجان فى آخر الصف قد أخذ منهما العمر تفاصيلا وبقيت تجاعيدهم متشابكة.

يجلس جميعهم داخل ميكروباص، ينظر السائق إليهم «الأجرة مع بعضيكم يا حضرات» ينظر نادر من النافذة والهواء يندفع فى وجهه فيغمض عيناه ويحاول إبعاد وجهها من ذاكرته، هو لا يعلم عنها شيئا يستثير الهواء البارد عينيه فيتركها لتبكى على سنوات عمره، تضع الأنثى يدها على كتفه وبصوت هادئ «واحد من العشرة» ترفع الشال قليلا ليخفى كتفها وهى تستند بظهرها وترفع رأسها إلى أعلى وتتساءل مش كفاية كده يا دُنيا بقى مش كفاية وجع، يسأل الرجل بصوت ضعيف «هى الأجرة كام ياسطا» يعطيه نادر ما أخذه من السيدة «واحد من العشرة وواحد من الخمسة» تمد الفتاة صاحبة الملابس الفضفاضة يدها وتأخذ الأجرة ودون أن تنظر إلى الرجل تمد يدها إلى السيدة العجوز «أربعة من العشرين» تلتفت وتبتسم إلى الرجل وتعطيه عشرين أخرى «ده الباقى بتاع حضرتك»، عجز فى أن يرفض الآن يبكى دون خجل، تبتسم الفتاة وبصوت هامس «الناس لبعضيها»، تمد العجوز يدها بالأجرة إلى زوجها الذى بدوره يعطيها إلى السائق «خد أربعة من العشرين واتنين من الخمسة» وينطلق السائق أسرع، يصطدم الهواء بوجه نادر تشعر السيدة بالبرودة وهى تغطى نفسها أكثر بالشال ويشعر الرجل بالسعادة كلما اقترب من منزله معه ما يكفى لهذه الليلة، تستند السيدة العجوز برأسها على زوجها «معلش يا حاج أنا تعباك معايا» يضمها «أنت عارفة أنتِ وقفتى جنبى قد ايه.. دى حاجة صغيرة قوى» ثم ينظر

العجوز إلى السائق «براحة شوية يا ابنى.. الحاجة تعبانة» الفتاة لا تبالى من سرعة السائق، يفزع الجميع فى لحظة الاصطدام يتناثر الزجاج تنقلب العربة على جانبها يحتك وجه نادر بالأرض مع احتكاك جانب السيارة، تتمسك العجوز بزوجها الذى احتضنها «اتشاهدى يا حاجة»، الفتاة تترك يدها لتصطدم رأسها بقوة وكأنها تعلم أنها نهايتها، الرجل يصرخ «يا رب... عيالى يا رب» أما الفتاة احتضنت نادر بقوة وهى تحاول أن تحمى رأسه ورأسها من الاحتكاك وفى لحظة انتهى كل شىء، أصوات عربات الإسعاف تملأ المكان تنقلهم إلى أقرب مشفى، تدخل السيدة والعجوزان إلى العناية المركزة، الفتاة ملابسها قد امتلأت بالدماء وتوفت قبل أن تصل، الرجل كان يصارع وهو ينادى على أبنائه لكنه لم يلبث أن رحل هو أيضًا وبقى نادر فى غيبوبَة وحيدًا شاردا يتذكر الصرخات فى لحظتهم الأخيرة.

هذا كل ما أتذكره عن الحادثة التى تعرضت لها، لكن أين كنت قبلها لا أتذكر، المشهد يتكرر طوال رحلة عودتى من أسيوط، نعم ذهبت إلى هناك لأبحث عن مرزوق، اختلط الحلم مع الواقع فى هذه الدُنيا.

قطار وطريق سفر ومواصلات داخلية إلى أن وصلت إلى مسجد على حدود قرية فى تمام الثانية ظهرًا، وقفت أمام المسجد وأنا لا أعلم هل مسنى الجنون إلى هذا الحد؟ أسأل عمن!؟ ولماذا!؟

-أنت بتدور على حد؟

كان هذا الصوت من رجل يقف على باب المسجد، ترددت للحظات قبل سؤاله:

-آه بيت مرزوق.

-مرزوق مين؟

-معرفش عنه غير إنه مات... غرق فى البحر يا حج هو وبناته.

-اسمه ايه تانى؟

-اسمه مرزوق.

-الرزق على الله يا ابنى...

-أنا جاى من القاهرة عشان أدور عليه.

-طب تعالى ريح العصر قرب يأذن... نصلى الأول.

-لو تعرف قولى وخلاص.

-تعالى استنى لحد الصلاة.

-أنا مش بصلى...

-ربنا يهيدك... باب ربنا مفتوح.. احنا بس اللى أبوابنا بتقفل... مافيش حاجة تمنع إنك تصلى أى وقت.

-هو أنت ليه ما زعقتليش عشان مش بصلى؟

-أدعيلك أحسن من الزعيق...

-هو ربنا موجود؟

-بسم الله الرحمن الرحيم «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ»

-هو فى مرزوق ولا مفيش وامشى؟

-كان فى مرزوق فعلا بس اختفى يجيله كذا سنة ومحدش يعرف عنه حاجة.

-وبناته؟

-كان عنده تلات بنات، نور وشدا والصغيرة دُنيا..

-ايه؟

-مستغرب ليه؟

-لا مفيش... الدُنيا دى غريبة.

-الدنيا صغيرة قوى يا ولدى ماتستغربش من أى حاجة فيها...

-تعبتنى قوى...

-بسم الله الرحمن الرحيم «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ»

روح يا ابنى دور على نفسك بدل مرزوق...

مجهود بدنى وأضعافه ذهنى بذلته، كيف وصلت إلى هذا الحد، تفكير متواصل ونوم دائم أحلام تصاحبها أوهام، كم أنا ضعيف، كم أنت ضعيف يا نادر، أصرخ أمام المرآة بصوت خافت، أقف وأنظر بغضب إلى هذا الجسد المترهل، رائحة شهواتى تثير احتقانى، ما هذا الكم من الأوراق الذى أعيش فيه، ألم تكتفى بعد من تدوين أوجاعك؟ لماذا تعلقت بها؟ أين هى الآن؟ أكانت مجرد حلم بلا واقع!؟ ألم يحن الوقت للعودة؟ أم أنك سوف ترحل دون أن تترك ذكرى؟

الآن أتذكر كل شىء..

السابع عشر من يناير فى ليلة شتوية الساعة لم تصل إلى السابعة صباحًا بعد، فى بقعة خفية وشارع خال من المارة عند كورنيش النيل، يجلس نادر وحيدًا مهمومًا ينظر إلى سريان الماء ويبكى، كان

قد وصله خبر رفض نور له للمرة الثانية، مزق رسالته وتركها للهواء ببساطة سنوات حبه تطير بعيدًا، كان يبكى عليها وعلى تلك السنوات التى عاشها بمسؤوليات أب كان قد تركهم، يريد أن يصرخ فى وجه هذا الأب الذى كان السبب فى فشل علاقته معها لا يستطيع نادر أن يبكى أمام والدته، كان صلب، وتد مغروس فى الأرض، كان يصارع الحياة وحيدًا لكن حياته قد انتهت فى اللحظة التى انتهت فيها نور، جلس على الحافة يلقى أحجارا على المياه، يصب غضبه ويتركه يرحل مع سريان الماء، كانت هى تجلس مستندة على أحد الأشجار، رغم برودة الجو إلا أنها خلعت قميصها فكشفت عن ذراعيها وعن رقبة عنقاء عاجية واستدارة فى خصر يتوقه حزام لونها خمرى، سارعت بارتداء قميصها فى اللحظة التى سمعت فيها صوت بكاء نادر، اقتربت بحذر.

-كل سنة وأنت طيب بمناسبة ٢٠١٦.

ينظر إليها نادر بدهشة وهى تكمل حديثها:

-تفتكر الراجل والست اللى قاعدين الناحية التانية دول بيحبوا بعض؟

يرفع نادر كتفيه فى إشارة أنه لا يعلم.

-ماعتقدكش... اللى يقعد بالشكل ده أكيد جواه وجع... بص يا

اسمك ايه... هو أنا فيا اللى مكفينى بس أنت محتاج مساعدة.

يتردد نادر فى الإجابة وهو يخفى دموعه.

-لا.. أنا تمام ... أنت مين؟

تجلس دُنيا على مقربة منه.

-أنا دُنيا.

-نادر.

-ما تستغربش من جراءتى وإنى جاية أكلمك.. بس أنا عارفة إن أحيانا بتكون عايز تتكلم مع حد ماتعرفهوش ومدام أنت هنا يبقى أنت مش لاقى حد... زيي كده بالظبط.

-لا أنا مش عايز أتكلم... أنا كويس.

-أنا معرفكش عشان تكابر... أنا نفسى أتكلم مع حد وأحكيله بس بابقى خايفة، زى ما أنا مرعوبة دلوقتى وأنا بكلمك.

-لا ماتخفيش مش هعملك حاجة.. اتكلمى أنت لو عايزة.

-أنا مش خايفة منك.. أنا خايفة تحكم عليا من غير ما تعرفنى.

-مابقاش عندى القدرة إنى أحكم على حد.

تمسك حجر وتلقيه فى نهر النيل.

-تعرف أنا نفسى فى ايه؟

-فى ايه؟

-نفسى فى فرصة تانية، نفسى حياتى تبدأ من الأول بنفس أحداثها وآخد قرارات تانية.

-مش هيحصل.

-ما أنا عارفة.

يأخذ حجر ويلقيه بدوره فى النيل.

-وأنا نفسى فى دُنيا تانية وحلم تانى...

-برده مش هيحصل.

-ما أنا عارف برده.

-طب ممكن طلب قبل ما نكمل كلام واحكيلك.

-أطلبى..

-ممكن ماتحبنيش.!

للتواصل مع الكاتب:

.facebook.com/haitham.ahmed.muhamed
https//www

Haitham Ahmed

haithomaat@gmail.com



تواصل معنا :

01067000701

E-mail:-Fasla.Pub@Gmail.com

Facebook .Com/Fasla .Pub